



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر 2- أبو القاسم سعد الله
كلية العلوم الاجتماعية
قسم علم الاجتماع والديمغرافيا



مطبوعة بيداغوجية موجهة للسنة الثالثة أنثروبولوجيا

محاضرات في مقياس القرابة العائلة الجندر

إعداد الدكتورة:

عابد مهدية

السنة الجامعية: 2025/2024

فهرس المحتويات

1	تمهيد
2	1- القرابة المفهوم والنشأة
13	2- لمحة تاريخية عن تطور مفهوم القرابة
17	3- القرابة والرباط الاجتماعي
27	4- الاتجاهات النظرية في دراسة القرابة
32	5- النظريات الحديثة في أنثروبولوجيا الانتماء والقرابة
38	6- القرابة والسياسة والاقتصاد
46	7- مفهوم القبيلة وعلاقته بالقرابة في الثقافة الجزائرية
54	8- العائلة المفهوم والنشأة
59	9- لمحة تاريخية من تطور بنية العائلة وبنائها ووظيفتها
65	10- الاتجاهات النظرية في دراسة العائلة
69	11- النظريات الحديثة في انثروبولوجيا العائلة
74	12- الزواج والطلاق
78	13- بنية العائلة العربية
82	14- الجندر (النوع الاجتماعي) المفهوم والنشأة
94	15- دور المرأة على الصعيد الشخصي والمحلي
116	خاتمة
117	قائمة المراجع

تمهيد:

تتضمن هذه المطبوعة الخاصة بمقياس القرابة والعائلة والجنس والموجهة لطلبة السنة الثالثة أنثروبولوجيا ثلاثة محاور رئيسية (القرابة، العائلة والجنس)

لغة هذه المفاهيم من الدراسات الأساسية في الدراسات الأنثروبولوجية بحيث تعكس التنظيم الاجتماعي والرمزي للمجتمعات، من خلال فهم الكيفية التي تبنى وفقها العلاقات العائلية والروابط القرابية وكذا خصائص النوع الاجتماعي أو الجنس من حيث الثمالات والأدوار ضمن مختلف الثقافات.

يكن الهدف من هذه المطبوعة في توفير معرفة نظرية ومنهجية تمكن الطالب من استيعاب وفهم هذه المفاهيم التي تشكل أدوات بحثية بالنسبة له.

I. القرابة المفهوم والنشأة:

يعتبر مفهوم القرابة من المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، والأنثروبولوجيا وذلك لارتباطه الوثيق بين الأسرة ونظام الزواج والمصاهرة، وخط الانتساب القرابي وما ينتج عنه من حقوق وواجبات.

1- مفهوم القرابة:

يرتبط مفهوم القرابة دوماً بالعلاقة العائلية ونظام الزواج والمصاهرة، فإما تكون قرابة دموية أو قرابة عن طريق المصاهرة، ومن بين التعاريف المقدمة للقرابة نذكر:

1-1- التعريف البيولوجي:

من بين التعاريف البيولوجية أن القرابة هي "انتماء شخصين أو أكثر إلى جد واحد واعتقادهم أن لهم جدا واحدا انحدروا منه"⁽¹⁾.

هنا يركز هذا التعريف على أهمية العلاقات الدموية، وكذا الانحدار القرابي الذي يمثله الانتماء المشترك إلى جد واحد هو الجد الأول.

ويرى محمد الجوهري أن القرابة "تحدد القرابة في أحد معانيها في ضوء العوامل البيولوجية، فالفرد يرتبط بأبيه وأمه بسبب مولده، كذلك يرتبط الأب والأم ببعض بسبب معيشتهم المشتركة واشتراكهما في إنجاب الأطفال. ونجد في النهاية أن أطفال نفس الوالدين يرتبطون ببعضهم لانتمائهم إلى سلالة نفس الزوجين"⁽²⁾.

في هذا التعريف تركيز على النسب أو ما يعرف بالوراثة الجينية.

1- إعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب متخصصين، معجم العلوم الاجتماعية المرجع في مطلعات العلوم الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ب ت، ص 466.

2- محمد الجوهري علياء شكري وآخرون، مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2008، ص 49.

2-1- التعريف السوسيوأنثروبولوجي:

يعبر مصطلح القرابة بصفة عامة عن علاقة اجتماعية التي تعتمد على روابط دموية حقيقية أو خيالية مصنعة⁽¹⁾.

هذا التعريف لا يركز على الجانب البيولوجي ويأخذ الخيالية مصنعة كالتبني، وبالتالي فهي خاضعة لثقافة مجتمع .

وترى سميرة أحمد أن القرابة هي "هي علاقة اجتماعية تقوم على أساس رابطة الزواج أو رابطة الدم أو المصاهرة"⁽²⁾.

هنا يوضح أن القرابة تنشأ عن علاقة دموية وعلاقة مصاهرة. ويشبه "ليني ستروس" في نظرية التحالف "أن القرابة علاقة اجتماعية تقوم على ارتباط أسري محدد ثقافياً، وتقوم الثقافة بتحديد أشكال العلاقات الأسرية التي تعتبر الثقافة ذات أهمية خاصة، وكذلك الحقوق والالتزامات التي تقع على كاهل عدد من الأشخاص الأقارب وصور التنظيم الموجودة بينهم"⁽³⁾.

يرى "ليني ستروس" أن القرابة ارتباط تحالف بين أسرتين عن طريق الزواج، وما ينجم عن هذا الزواج من إنجاب للأطفال فتصبح علاقة دم، وهذا التحالف يجعل للأشخاص متقيدين بالتزامات اتجاه أقاربهم تحدها ثقافة المجتمع المنتمون إليه.

وخلص القول أن القرابة تعتمد على جانبين، جانب بيولوجي وهو العلاقة الدموية، والجانب الاجتماعي المتمثل في المصاهرة وما ينجم عليه من تحالف القرابة تختلف من مجتمع لآخر باختلاف الثقافات.

أما مارتن سيغلان M. Segalen فنقول أن القرابة تعني في آن واحد: الأقرباء الذين يعنون الأب، الأم، الأخ، الأعمام، الأخوال، أبناء الأخوال، وسواء كانت هذه القرابة عن طريق الدم أو المصاهرة، وكما تعني أنها مؤسسة تنظم في إطار سيرورة الحياة الاجتماعية⁽⁴⁾.

أما التعريف الأنثروبولوجي للقرابة فيوضح "فوكس R. Fox" قائلاً: "ولا تعني القرابة في الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع والعلاقات العائلية والزواج، وإنما تعني أيضاً علاقات المصاهرة، فالقرابة هي علاقة دموية والمصاهرة هي علاقة زواجية فعلاقة الأب بابنه هي علاقة قرابية، وعلاقة الزوج بزوجته هي علاقة مصاهرة، والطفل وليد أبويه وعلاقته القرابية يمكن أن تقتضى من خلالهما⁽⁵⁾.

2- أنواع القرابة

1- دينكن ميشل، معجم العلوم الاجتماعية، ترجمة إحسان محمد الحسن، بيروت، دار الطليعة، 1989، ص130.

2- سميرة أحمد السيد، مصطلح علم الاجتماع، مكتبة الشقري، السعودية، 1997، ص89.

3- إعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المختصين، مرجع سابق، ص26.

4- Segalen (M), Structures élémentaires de la parenté, PUF, Paris, 1981, pp.40-41.

5- إحسان محمد (لحسن)، العائلة القرابية والزواج، دراسة تحليلية في تغير نظم العائلة والقرابة والزواج في المجتمع العربي، دار الطليعة، بيروت، 1981، ص19.

تختلف القرابة والعلاقات القرابية من مجتمع لآخر، ومن ثقافة لأخرى، ومناوع القرابة نذكر:

أ. القرابة الدموية:

القرابة الدموية هي عبارة عن علاقة تكون بين الأشخاص، أو جماعات ينتسبون إلى نفس السلف، سواء كان ذكرا أو أنثى، ونميز في قرابة الدم قرابة أولية وهي التي تربط الآباء بالأبناء أو تلك التي تربط بين الأم والأب والأخ(1).

وأما القرابة الثانوية فهي توجد من خلال الانحدار من نفس الجد، أو ما يعرف بالجد المشترك وانتماء الفرد لأبويه يجعله عضوا في جماعتين مرتبتين من طرف الأب، وهم الأعمام وأبناء الأعمام وجماعة من طرف الأم(2).

ب. القرابة الاجتماعية:

وهي علاقات من وضع النظم الثقافية للمجتمع وتبنى عليها التزامات مماثلة لتلك التي تبنى عليها روابط الدم(3).

ج. القرابة عن طريق المصاهرة:

وهي علاقات ناتجة عن الزواج وتبادل النساء من العائلتين أو الأصهار من الأقارب ينقسمون إلى مراتب قرابية مختلفة، فأخ الزوج أو الزوجة أقرب من العديل وهكذا.

وهذا النوع من القرابة يسهم كثيرا في عملية تكوين الجماعات الاجتماعية، عن طريق الزواج وتشكيل تحالفات سياسية، وتوسيع دائرة التعاون والتضامن الاجتماعي(4).

د. القرابة المصطنعة:

وهي نوع من العلاقات يطلق عليها المجتمع طبيعة العلاقات القرابية الحقيقية، ويترتب عنها حقوق وواجبات، مثلما هو عليه في قرابة الدم والمصاهرة، وينضوي تحت غطاء هذه القرابة التبني، وادعاء أنّ هذا الولد نسبه إلى هذه العائلة، وقبول النسب من غير أن يكون ابنا للفرش، وهذا كان معروفا عند العرب قبل الإسلام كثيرا ونشأ عن القرابة درجة لا تقل عن قرابة الدم العصب(5).

ه. القرابة الطقوسية:

وهي قرابة عن طقوس وشعائر ثقافية ودينية، وهذا النوع نجده في قبائل شرق إفريقيا وعند الهنود الحمر وبعض جزر المحيط الهندي، وكذا بعض القبائل الأسترالية يقوم على أساس نظام طبقات العمر، يتم ترتيب أعضاء المجتمع خاصة الذكور على أساس السن، وكل طبقة تضم أشخاص من نفس السن، وتمنح لكل الأشخاص في نفس الطبقة اسما مشتركا،

- 1- عبد الحميد رشوان، الأنثروبولوجيا في المجال التطبيقي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1989، ص 103.
- 2- محمد عبده محبوب، طرق البحث الأنثروبولوجي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ب. ت، ص 105.
- 3- نبيل السمالوطي، الدين والبناء العائلي، دار الشروق، لبنان، 1981، ص 131.
- 4- علياء شكري، الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996، ص 60.
- 5- عبد الحميد رشوان، الأنثروبولوجيا في المجال التطبيقي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1989، ص 103.

يكون لهم نفس المركز الاجتماعي ويسلكون نفس السلوك ويتقيدون بنفس السلوك والمواقف إزاء غيرهم من الناس من الطبقات الأخرى(1).

وهذا يؤدي حسب "أفانزبرتشاد" E.Pritchard الذي درس هذا النظام عند النوير بجنوب السودان، أنّ لهم نفس الحقوق والواجبات والامتيازات والوظائف الاجتماعية، وتنشأ بينهم أخوة وروابط انتماء مشتركة تتخطى حدود العشيرة والجماعات القرابية، وتفوق قوة هذه العلاقات الأخوية التي تفرض عليهم قيودا في مجال الزواج وممارسة الجنس – تماما كالتي تفرضها علاقات الدم – لا تقوم على أساس، وإنما تقوم في جوهرها على أساس اجتماعي مستمد من ثقافة المجتمع وتقاليد ونظمه(2).

بالإضافة إلى قرابة العماد في الديانة الكاثوليكية المعاصرة، إذ تتحقق القرابة الطقوسية في مجتمعات غرب أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية من خلال إطلاق أسماء العراب (أبو العماد) على الأطفال الجدد، وقد تطورت مثل هذه العلاقات إلى حد بعيد في البلاد الكاثوليكية على وجه الخصوص وبالذات فيجنوب إيطاليا(3).

هذه جزء من أشكال القرابة الطقوسية وهي موجودة في كثير من المجتمعات وتتخذ أشكالا متعددة، وكثيرا ما تتخذ صورة الانضمام أي عضوية الفرد في الجماعة وتهدف في معظم الأحيان إلى زيادة عدد الصلات الرسمية بين أفراد المجتمع، وتزيد من درجة التضامن بين أبناء المجتمع المحلي.

3- أسس التصنيف القرابي

من الملاحظ أن كل شعب قد إعتاد على القرابة في مجتمعه. ومصطلحات القرابة تشير إلى فئات من القرابة مثل العم والعمة، الأخت والأخ... ونظم تصنيف القرابة تتباين تبانيا هائلا من مجتمع لآخر.

ومن أسس تصنيف القرابة نذكر:

- على أساس الجيل:

الذي ينطوي على جيل الوالدين مثل الأب والأم والعمة والخالة والعم والخال، أما مصطلحات الأخ والأخت فتتصب على جيل الشخص نفسه ومصطلحات الابن والبنت وابن الأخ وبنت الأخ... فإنّها تقتصر على الجيل الثاني من جيل الشخص نفسه(4).

- والأساس الثاني التصنيف الأقارب من نفس الجيل تبعا لفروق العمر:

ويمكن أن نجد ذلك نموذجا لذلك عند شعب النافا هو، حيث يخاطب الشخص إخوته الكبار بمصطلح معين، والصغار بمصطلح مختلف تماما، كذلك يميز الشخص هنا بين إخوته الأكبر سنا والأصغر سنا(1).

1- مصطفى الخشاب، دراسات في علم الاجتماع العائلي، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص 74.

2- نبيل السمالوطي، مرجع سابق، ص 2.

3- علياء شكري، مرجع سابق، 1992.

4- محمد الجوهري، علياء شكريو اخرون مرجع سابق، ص 54.

- أساس الفروق بين الأقارب:

فهناك أقارب مباشرين Lineal، وغير مباشرين Cousins، فالنوع الأول (المباشرين) يضم أولئك الذين يرتبطون ببعضهم البعض في خط واحد، أما النوع الثاني (غير المباشرين) فيضم أولئك الذين يرتبطون بشكل غير مباشر من خلال أحد الأقارب الذي يصل بين خطين.

- أساس اختلاف جنس القريب (ذكر أو أنثى):

في مجتمعنا العربي نميز بين الأب والأم والعم والعمة والخال والخالة والأخ والأخت... والمصطلح الوحيد الذي يبدو فيه هذا الأساس واضحا في اللغات الأنجلو سكسونية هو ابن وبنت العمواين العم وبنت الخال الذي ينطبق على كافة الأقارب المجانين من جيل الشخص نفسه بصرف النظر على نوع القريب (ذكر أو أنثى).

- أساس الفروق بين نوع المتكلم نفسه الذي يخاطب أقاربه:
هناك نظم قرابيتستعمل مصطلحات تخضع لنوع جنس المتكلم، فمصطلحات القرابة التي يستعملها الذكر لا تكون نفسها عند الأنثى(1).
- أساس الفروق نوع القريب، الذي يمثل همزة وصل في القرابة:
ذكرنا أنفاعن الأقارب غير المباشرين بأنهم أولئك الذي يمثل همزة الوصل لا يترتب عليه أية تبعية أو آثار، إذ يكون جميع أبناء أو بنات العم أو الخال يجمعون أو ينضون وتحت مصطلح واحد وهو cousin، لكن تنقسم هذه الفئة إلى مجموعة أبناء العمومة أو الخؤولة المتقاطعة gross cousins (أبناء العم والعمة وأبناء الخالوالخاله) وفئة العمومة والخؤولة المتوازية parallèle cousins (العم، العمة، الخال، الخالعة)(2).
- أما الأساس السابع فيميز القرابة الدموية عن قرابة المصاهرة:
قرابة الدم تضم أولئك الذين ينتمون إلى أسرة الشخص نفسه أو أسرة أجداده وأحفاده، أما قرابة المصاهرة فتضم أولئك الأقارب من خلال الزواج، أي الذين سبق اسمهم في مصطلحات القرابة الغربية كلمة in-louw.
- وينصب الأساس الثامن لتصنيف القرابة على الفروق في المكانة أو الظروف والمعيشية للشخص الذي تقوم علاقة القرابة من خلاله، ويمكن أن نجد نموذجا لذلك عند شعب الشريكا والأباتشي. فعند أولئك الناس ينتقل الرجل ليعيش مع أسرة زوجته الذين تربطهم به علاقة مصاهرة، أما إذا توفيت زوجته فإن علاقته تتغير من حيث أن يتحتم عليه أن يتزوج أيا من أخوات أو بنات عمومة أرملته اللاتي لم يسبق لهن الزواج، ومن ثم يظل بين أفراد الأسرة التي انضم إليها بعد زواجها لأول(3).

1- معن خليل عمر، مرجع سابق، ص 153.

2- محمد الجوهري، علياء شكري و اخرون مرجع سابق، ص 64.

3- نفس المرجع ص ص 65-67.

4- أنواع الجماعات القرابية

إن كل المجتمعات الإنسانية فيها جماعات ترتبط ببعضها بروابط القرابة، والجماعات القرابية هي جماعات قامت واتخذت على أساس طريق روابط الدم، أو الزواج ومن بين هذه الجماعات نذكر:

4-1- العائلة الأولية

هي البذرة الأولى المكونة لنسق القرابي وتتكون من الرجل (الزوج) والمرأة(الزوجة)، الأطفال سواء كانوا يعيشون معا أو لا، وتشتمل هذه العائلة على ثلاث أنواع من العلاقات الاجتماعية، النوع الأول وهو العلاقات التي تربط الوالدين بالطفل، والنوع الثاني الذي يوجد بين الأشقاء من الذين لهم نفس الوالدين، والنوع الثالث يتمثل في العلاقة التي توجد بين الزوجة والزوج لنفس الأطفال كوالدين لهما. وبزواج أحد الأولاد ينتقل إلى أسرة أولية ثانية⁽¹⁾. وكل نظام المحارم العالمي يحرم زواج الأصول (الآباء والأمهات)، من فروعهم أي نسلهم (الأبناء والأحفاد...)، ويحرم كذلك الزواج بين الرجل وشقيقته، وهكذا على الأبناء أن يتزوجوا من خارج الأسرة الزوجية الأولية وكذلك هو الحال بالنسبة لشقيقاتهم⁽²⁾.

4-2- العائلة المعقدة (Compound Family): وهي تشمل نوعان:

أ. العائلة المركبة Complex Family:

الأسرة المركبة تشمل أكثر من أسرة بسيطة ولكنها تضم جيلين اثنين فقط، وهذا يعني أن فرد واحد يمثل محور الربط بين عديد من الأسر البسيطة، وبالتالي فإن الأسرة المركبة هي نتاج لنظام الزواج المتعدد (تعدد الزوجات)، أو الزواج بعد الطلاق والترمل... ومن أهم خصائصها وجود أطفال غير أشقاء⁽³⁾.

1- محمد حسن غامدي، مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص 85.
2- محمد الخطيب، الأنثروبولوجيا - دراسة عن المجتمعات البدائية -، منشورات علاء الدين، 2000، ص 185.
3- الخولي سالم إبراهيم الخولي، الأسرة المصرية قراءة في ماضيها وحاضرها، دار الكتب، مصر، 2013، ص 7.

ب. العائلة الممتدة Extend Family:

يطلق اصطلاح العائلة أو الأسرة الممتدة على الجماعة التي تقيم في مسكن واحد، وتتكون من الزوج والزوجة وأولادهما الذكور والإناث غير المتزوجين والأولاد المتزوجين، وغيرهم من الأقارب كالعم والعمة والابنة والأرملة أو المطلقة، والذين يقيمون في نفس المسكن ويعيشون حياة اجتماعية واقتصادية واحدة تحت إشراف رئيس العائلة. والأسرة الممتدة تقوم على أساس امتداد الأجيال الموجودة في الأسرة امتداداً رأسياً أكثر منه أفقياً وتشمل 3 أجيال أو أكثر.

وتعتمد الأسرة الممتدة على درجة القرابة الدموية أكثر من اعتمادها الرابطة الزوجية، كما أن الأسرة الممتدة قد تحتوي مجموعات من الأسرة النوانية ومجموعات من الأسر المركبة⁽¹⁾.

4-3- الأسرة المعيشية (Domestic Family)

الأسرة المعيشية هي تتكون من مجموعة الأسر النوانية تتبع نوعاً معيناً من التنظيم الاقتصادي يطلق عليه الوحدة المعيشية، وتقيم الأسر المعيشية في مسكن واحد أو في مجموعة من المساكن القريبة ببعضها البعض، وعموماً فالإقامة المشتركة هي القاعدة الأساسية التي تقوم على أساسها الأسرة المعيشية ويصاحبها التزامات اقتصادية واجتماعية مشتركة⁽²⁾.

4-4- البدنة

هنا ترتبط الأسر ببعضها البعض من خلال سلف مشترك أبعد من الأب ويطلق عليه اسم البدنة ويقصد بها الأنثروبولوجيين "تلك الجماعة المتعاونة المتماسكة بين أعضائها روابط القرابة وهي جماعة تعبر عن وحدتها واستقلالها في وفائها بالتزاماتها ومطالباتها بحقوقها"⁽³⁾. وللبدنة اسم يميزها وأعضائها يكونون في نسق العلاقات الجينولوجية يتضمننا الأحياء والموتى وربما تنقسم إلى وحدات صغرى متميزة لكنها تكون ككل وحدة متماسكة ومتضامنة مع بعضها.

4-5- العشيرة (Clan)

هي وحدة اجتماعية هي امتداد للأسرة وتتميز بتسلسل قرابي معين يتفق مع نظام سكني خاص ولذلك فهي وحدة مكانية، ويعتقد أفراد العشيرة الواحدة بوجود جد مشترك قام بتأسيس العشيرة يكون هذا الجد شخصية أسطورية⁽⁴⁾.

ومن أهم خصائصها الانحدار من جد مشترك أو عام واعتبار أي عضو من أعضاء العشيرة من الأقارب وأن الانحدار يمكن تتبعه في خط الأم Matrilineal من خلال الأم

1- الخولي سالم إبراهيم الخولي، مرجع سابق، ص 7.

2- محمد حسن غامدي، مرجع سابق، ص 89.

3- محمد أحمد غنيم، فائق محمد شرين، دراسات في المجتمع البدوي، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 1998، ص 15.

4- عاطف وصفي محمد، الأنثروبولوجيا الاجتماعية دار النهضة العربية بيروت ب ت، ص 107.

وأخوة الأم أو جد الأم، أو من خلال الانحدار في خط الأب Patrilineal من خلال الأب أو الجد.

4-6- البطون واتحاد العشائر

يشتمل النسق القرابي كذلك على تجمعات اجتماعية أكبر من العشيرة، ففي بعض المجتمعات ترتبط عشيرتان أو أكثر معا لتكون ما يعرف بالبطن، ويشعر أعضاؤه بروابط خفية تربطهم ببعضهم البعض ومن ثم يتبادلون الخدمات في المناسبات الدينية والحفلات ونجد عند قبائل الهوبي Hopi أن الزواج لا يتم من داخل البطن فهذا من المحرمات وعلى أعضاء البطن أن يتزوجوا من الخارج⁽¹⁾.

4-7- القبيلة

هي وحدة اجتماعية تجمع عشائر عدة وتنتشر في المجتمعات البدائية، وتتميز بوحدة المكان واللغة والثقافة⁽²⁾، كما أن القبيلة هي أكبر الوحدات القرابية المعتمدة على وحدة النسب وتتكون من مجموعة عشائر وقد تتواجد في أقاليم متجاورة أو بعيدة عن بعضها نسبيا، إلا أن القبيلة تظل واحدة مادامت العشائر التي تتألف منها تنظم في بناء أحادي للقرابة الدموية النابعة من النسب المشترك⁽³⁾.

من خلال كل ما سبق يتضح لنا أن الأسرة هي النواة الأساسية لنسق القرابي وأن الزواج من الجماعات القرابية يختلف من مجتمع لآخر، فالمجتمع المسلم مثلا يمنع الزواج من أفراد الأسرة النواة والأقارب المتوازين العم والخال، ولكن يبيح الزواج بين أبناء العمومة والخوولة وبقية الأقارب الذين في الخط الأبوي أو الأموي ماعدا الأقارب المباشرين على عكس المسيحيين الكاثوليك يمنعون زواج الأقارب كليا.

5- نظام التسلسل القرابي:

إن النظم التي تحدد أعضاء الجماعة القرابية الدموية تختلف بصورة كبيرة من مجتمع لآخر، ويمكن تلخيص أهم أنظمة التسلسل القرابي التي تشير عليها المجتمعات فيما يلي:

- **النظام الأبوي:** ويعني انتماء الفرد إلى الجماعة القرابية الدموية التي ينتمي إليها والده، وهي تضم كل الروابط التي تربط الشخص بأسلافه عن طريق أبيه أي أن روابطه القرابية يعترف بها عن طريق الذكور فقط⁽⁴⁾.

- **النظام الأموي:** تحدد هذه القاعدة أقرباء الفرد بأنهم الجماعة القرابية الدموية التي تنتمي لها أمه، أي أن تسلسل القرابة هو عن طريق الإناث وليس الذكور⁽¹⁾، وهذا

1- محمد عبده محجوب، مرجع سابق، ص 44.

2- عدنان أحمد مسلم، محاضرات في الأنثروبولوجيا، مكتبة علم الإنسان، 2001، ص 123.

3- محمد عاطف وصفي، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت، ب.ت، ص 109.

4- حسن عبد الحميد أحمد رشوان، الأنثروبولوجيا في المجال التطبيقي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1989، ص 103.

النظام بسيط باعتبار أن الطفلة تظل عند والدتها وأخيها (الخال) والطفلة التي تعيش عند أخيها تحافظ على عصبيتها وعلى اسمها وتحول اسمها وعصبيتها وأملاتها إلى أطفالها وأخيها يعتبر مثل والد أطفالها باعتبار أنها تعطى اسمه إلى أطفالها(2).

- **نظام الانتساب الثنائي:** هو انتساب مزدوج، بموجبه يصبح الفرد ينتسب إلى أبيه أو أمه في نفس الوقت ومنه يصبح نسب الفرد يرجع إلى جميع أقاربه من حيث الأبوالأم ومعا وفي هذا النظام نوعين من الانتساب هما، النظام الثنائي الاختياري والنظام الثنائي الإجباري.

وبذلك نستنتج أن نظم القرابة في المجتمع الإنساني لا تحددها صلات الدم ولا الروابط البيولوجية، بل إنما يتحكم فيها ما يتواضع ويقوم عليه المجتمع من نظم وما يقره العقل الجمعي لذلك المجتمع من قواعد ونظم خاصة به.

تعد القرابة نظام اجتماعي أو نظام للعلاقات الاجتماعية يقوم على علاقة ورابطة الدم أساسا، حيث يخضع كأي نظام اجتماعي لمجموعة من القواعد والمبادئ المنظمة للعلاقات فيها بين الأفراد، وتكتسي أهمية كبرى داخل البناء الاجتماعي نظرا لوظائفها المختلفة خاصة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية. لذلك شكلت موضوعا خصبا وأساسيا ومحوريا لدى الأنثروبولوجون الذين سوف نتعرض لهم فيما سيأتي.

2- لمحة تاريخية عن تطور مفهوم القرابة:

تشير القرابة إلى العلاقات المحددة ثقافيا بين الأفراد من خلال روابطهم الأسرية، وهي تقوم على قرابة الدم والمصاهرة، وعلى الرغم من عمومية العلاقات القرابية في كثير المجتمعات الإنسانية إلا أن هناك اختلافات بين الثقافات فيما يتعلق بقواعد القرابة والأنماط القرابية ومفهوم الزواج والأبوة، كما تستخدم أساسا لتشكيل الجماعات المتميزة وتصنيف المجتمع إلى زمر اجتماعية...³

تعد مصطلحات القرابة من أهم المسائل التي عنى علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية بجمعها ودراستها للتعرف على الطريقة التي تستخدم بها والعلاقة بينها وبين العناصر الأخرى للنسق القرابي.

شغلت دراسة القرابة في البحوث الأنثروبولوجية أهمية في صياغة النظرية الأنثروبولوجية، فلقد لقي تطور الحياة العائلية ودراسة القرابة اهتمامات خاصة في الكتابات الأنثروبولوجية. ومثال ذلك ما عنى به لويس مورغان في كتاباته عن القرابة معناها الواسع وتحمله الشديد

1- شارلوت سيمور سميت، موسوعة علم الإنسان والمصطلحات الأنثروبولوجية، المركز القومي للترجمة: محمد الجوهري، ط2، 2009، ص 428.

2- هنري مندراس، مبادئ علم الاجتماع، تر، ملاحم حسن، ديوان المطبوعات الجامعية، ب.ت، ص 273.

3- فائق شريف، الأسرة والقرابة دراسات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2006، ص 27.

لصيغة المصطلحات القرابية وألقاب المناداة¹ ومبالغته في تقدير أهمية المصطلحات القرابية في إعادة ترتيب التاريخ لا تزال دراسات مورغان من أهم روافد الفكر الأنثروبولوجي المعاصر ويرجع الفضل في إدخال الدراسة المقارنة لنظم القرابة لأول مرة إلى ميدان الأنثروبولوجيا.

ارتبط تطور مفهوم القرابة من خلال تناول مختلف النظريات له والتي اختلفت فيما بينها من حيث الطرح والهدف من الدراسة.

فالتطوريون انصببت اهتماماتهم حول البحث في أصل العائلة البشرية وتطورها، مما قد يتطلب استخدام التأويلات التاريخية الأساطير والفلكلور، فهم لم يستندوا على معلومات أكيدة ويسلم التطوريون بأن نظم العائلة والزواج والقرابة مرت بأشكال مختلفة تمثل مراحل تطورية².

من التصور التطوري لتحليل أنساق القرابة وأنماط العائلة واختلاف أشكال الزواج إلى التحليل الوظيفي الذي يقوم على الظروف الاجتماعية السائدة لكل مجتمع على حدى، فمستوى المجتمع ككائن عضوي يتكون من أبنية متميزة مترابطة في وحدة كلية، وأجزاء متساندة، وأن أي تغير يحدث في أي جزء يؤدي إلى تغيرات في الكائن العضوي. ظهرت في الربع الأول من القرن 20 دراسات حقلية اهتم أصحابها بدراسة النسق لقرابي بوصفه نسقا اجتماعيا يتأثر ببقية الأنساق الأخرى السائدة في المجتمع ويؤثر فيها، لذا اتجهوا إلى دراسة الجماعات القبلية صغيرة الحجم نسبيا، حيث تلعب القرابة دورا جوهريا في الحياة الاجتماعية. من تمّ اهتموا بتحليل الأنساق التي درسوها تحليلا بنائيا وظيفيا³.

قامت نظرية ستروس في القرابة على أن الأبنية الأولية للقرابة تظهر على العموم من تفضيل الزواج من أشخاص تقوم بينهم روابط كما في الزواج بين أبناء العمومة والخوولة المتقاطعة، أي الزواج بين أبناء العممة والخال. وقد أعطاه ستروس أهمية، حيث يعد البناء الأول لتبادل النساء على أساس أن هذا الأخير هو المحور المركزي للقرابة⁴.

يعد هذا التحليل من أحدث التحليلات الخاصة بنسق الأسرة، وهو يتناول بالبحث "التكامل" بين الأسرة والنظم الاجتماعية الأخرى كما يحلل الوظائف التي تقوم بها هذه الوحدة البنائية (الأسرة) وعلاقتها بالأنساق الأخرى في المجتمع الصناعي الحديث.

لم تركز القضايا التي تناولها علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية في السبعينات على العلاقات الداخلية أو بناء العائلة، إنما اهتمت بفهم بناء الأنساق الاجتماعية ككل، كما أنها ركزت بشدة على ضرورة التخلي عن النظر إلى العلاقات العائلية النووية كنظرة عالمية أو

¹ - نفس المرجع، ص 30.

² - أحمد أبو زيد، البناء الاجتماعي (الأنساق)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1968، ص 289.

³ - فانتن شريف، مرجع سابق، ص 25.

⁴ - Leach Edmund, Levi Strauss, Collin Colted Press, London, 1972, pp.101-103.

عامة وكذلك على ضرورة التمييز بوضوح بين الأنشطة الواردة في العلاقات الداخلية وحقائق الترابط البيولوجي وتشابك العلاقات العائلية والقريبة.

الجدير بالملاحظة أن دراسة النسق القرابي والعلاقات القربانية في المجتمعات الصناعية الحديثة قليلة، رغم التراث الكبير الذي يتناول المشكلات الخاصة بالحياة العائلية، وقد أوضحت إحدى الدراسات البريطانية الحديثة أن العائلات في الطبقة الأدنى تعيش في تقارب مكاني مع الأقارب العاصيين وتحفظ باتصال وثيق معهم، على الرغم من تأكيد العديد من الدراسات الاجتماعية عن عزلة الأسرة النووية في المجتمعات الصناعية¹.

أهم التطور في البحوث الأنثروبولوجية في مجال الأسرة والقربانية تتمثل في ستة اتجاهات²:

- 1- نمو رأسي في حجم المعطيات من البحوث المنشورة والمؤلفات المعنية بالأسرة والقربانية.
- 2- تغيير في وضع البحوث المعنية بالأسرة والقربانية كونها مشكوك فيها إلى الاعتراف بمشروعيتها وجدارتها بالاحترام بوصفها مشروعاً علمياً.
- 3- التحول من التركيز على الدراسات واسعة المدى "النظام" إلى الدراسات الميكروسكوبية "المركزة" لعلاقات التفاعل الداخلي في الأسرة والتفاعلات الأسرية التي أدت إلى الدراسات الموجهة لمشكلات الأسرة والخدمات المساعدة التي تقدم لها.
- 4- التحول من مشروعات البحوث الفردية إلى المشروعات التي يعمل فيها فريق من الباحثين على أساس من التنسيق بين جهودهم في البحث.
- 5- اتجاه إلى تأكيد الخاصية "النظرية" عن طريق تحقيق تقدم في صياغة الأطر التصورية المستخدمة، وتراكم الفروض التي خضعت للاختبار الإمبريقي أو التطبيقي لتكون نظريات استقرائية.

3- القربانية والرابط الاجتماعي:

تمثل القربانية مجموعة الصلات الرحمية والروابط النسبية التي تربط بين الأفراد بعلاقات عضوية واجتماعية متماسكة تلزمهم بمسؤوليات وواجبات تخص أبناء الرحم الواحد والنسب الواحد. أما الرابط الاجتماعي فهو تلك الأشكال التي تربط الفرد بالجماعات الاجتماعية والمجتمع والتي تسمح له بالاندماج الاجتماعي.

¹ - فاتن شريف، الأسرة والقربانية دراسات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ط.1، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، مصر، 2006، ص 45.

² - محبوب محمد، أنثروبولوجيا الزواج والأسرة والقربانية، مرجع سابق، ص 391-392.

- هياذن مجموعة الأواصر والالتزامات التي تشعر الأفراد بأنهم أعضاء جماعة واحدة تجمعهم قيم وأعراف ومثل مشتركة، سواء كانت تلك الأواصر والالتزامات ذات طابع دموي تقليدي أو ذات طابع حديث رسمي إرادي حرّ. وعليه فإن الروابط الاجتماعية لها ثلاثة أبعاد هي:
- (1) بعد طبيعي لما في البشر من طبيعة الالتحام ويعبر عنه بالروابط الدموية القائمة على النسب والعصبية.
 - (2) بعد تقليدي ثقافي مكتسب قائم على الأعراف والمثل والقيم المشتركة، ويعبر عنه بالروابط التقليدية، ويضم كافة الروابط التي تنشأ من العلاقات الاجتماعية التي تفرضها الحياة الاجتماعية من جيرة وصدقة وزمالة وغيرها، ويتميز بنوع معين من الالتزام.
 - (3) بعد عصري وهو حديث قائم على التضامن العضوي، يتمثل في الروابط الحديثة التي تتميز بالاتساع والعمومية التي تفرضها طبيعة الحياة العصرية المعقدة، وتنقسم إلى ثلاثة أنواع هي: روابط إرادية اختيارية، مثل الانخراط في الجمعيات الاتحادية، وإجبارية مثل الانخراط في صناديق التأمين الاجتماعي وضرورية مثل الانخراط في سوق العمل والأعمال، كالتعاملات البنكية والروابط المهنية.
- تتطور الروابط الاجتماعية بتطور المجتمع وتعبده، إذ تبدأ طبيعته بمقتضى الطبيعة البشرية وهو الالتحام الدموي الذي يعرف عند ابن خلدون بالعصبية، وتنتهي اصطناعية تملأها طبيعة الحياة المشتركة في سبيل تحقيق أهداف جماعية تتعدى حدود القرية والمدينة.

دراسات عن القرابة والرابطة الاجتماعية في المجتمع الجزائري:

يوضح عدي الهواري -أستاذ وباحث جزائري بجامعة ليون الفرنسية⁽¹⁾، من خلال دراسته التي نشرها في كتابه الموسوم، تحولات المجتمع الجزائري، الأسرة والروابط الاجتماعية نموذجاً للتحويل، على أن المجتمع الجزائري، عرف تحولات كبيرة، بعد الاستقلال، حيث ظهر هذا التغير بوضوح على الأسرة الجزائرية، وشمل كالروابط الاجتماعية المختلفة، فبدأ بالنزوح الريفي نحو المدن، مما أدى حسب رأيه، إلى حدوث ما سماه، بأزمة الرابطة الاجتماعية في الجزائر وذلك بتحول طبيعة الروابط الاجتماعية، بعدما كانت دموية قوية، إلى روابط مصلحة حديثة، مما تسبب في ظهور الأسرة النووية، أو كما يسميها "بالأسرة الزوجية" في المدينة، قاصداً بالزوجية أن الرابطة بينهم رباط الزواج، وليسوا أقارب، كما كان الزواج بين الأقارب في السابق، فهو يرى أن المجتمع الجزائري، كان مجتمعاً يقوم على العائلة الكبيرة أو العائلة الممتدة، التي تسيطر فيها سلطة الأب. والزواج في الغالب بين الأقارب. ثم تغير المجتمع وظهور أزمات فيه، كأزمة السكن مثلاً والتي يعتبرها من الأسباب الرئيسية، في تغير نمط الأسرة، التي ترتب عنها انفصال الأسرة النووية، عن الأسرة الكبيرة، فأدى ذلك إلى تباعد في الروابط، وضعف رابطة القرابة، لأنه يشير إلى أنزواج الأقارب، بدأ يزول في المجتمع الجزائري، وخلفه الزواج الخارجي، مما زاد فيتغير رابطة القرابة.

وهنا يؤكد الباحث على أن المجتمع الجزائري عامة، يمر بأزمة الروابط الاجتماعية، التي تتمثل في أزمة المرور، من الروابط الدموية إلى الروابط الحديثة، وكذلك أزمة الروابط الداخلية، التي تعيشها الأسرة الجزائرية، بسبب أزمة السكن. ففينظره هذه الأزمات، ساهمت بشكل كبير في ضعف الروابط الاجتماعية في الجزائر.

أما ما يقوي ويثبت الروابط الاجتماعية فهي: الثقافة، الاقتصاد، السياسة، كما أن الحداثة في هذه المجالات، تعطي الاستقلالية والتنوع، ويقصد هنا بالحداثة، هو تحويل الروابط الاجتماعية من الدموية أي القرابية إلى المواطنة، دون أن يلغي الثقافة التي يقصد بها التنشئة الاجتماعية الأسرية وغيرها، من روح الثقافة الوطنية، كما أنها لا تتشعب بثقافات أخرى دخيلة وإنما تعطي الحرية للسياسة والاقتصاد فيالتطور.

بمعنى أن الروابط الاجتماعية، لا تزول إذا تمسك الأفراد بثقافتهم الأولية، بينما يغيرون ويطورون السياسة والاقتصاد. والمشكل المطروح هنا هو أن المجتمع الجزائري المعاصر تبدأ أزمته في الروابط من خلال الصعوبات التي تواجهها هذه الروابط الاجتماعية في الخروج من الروابط الدموية، التي حُبست في الروابط البيولوجية، بسبب فشل الدولة في حل بعض الأزمات كأزمة السكن.

1- الهواري عدي، التحولات الاجتماعية في المجتمع الجزائري الأسرة والرابطة الاجتماعية.

فهو يرى أن الروابط الدموية بدورها تعيش أزمة، لأنها في حالة بحث عن دعم أكثر، لوسع غاياتها الفردية، وهذا ما يجعل الأفراد، يحاولون نسج شبكة من العلاقات، خارج رابطتهم القرابية ذلك تعويضا لفشل الدولة، وتعبيرا عن أزمة في الروابط الاجتماعية الجزائرية⁽¹⁾.

درس "مصطفى بوتفوشنت M, Boutefnouchet" - أستاذ وباحث جزائري بجامعة الجزائر - "العائلة الجزائرية، التطور والخصائص الحديثة" 1984 وهو موضوع دكتوراه درجة ثالثة في علم اجتماع التنمية في جامعة بوردو تقدم به تحت عنوان "تطور البنيات العائلية - الاقتصادية من الجزائر التقليدية إلى الجزائر المعاصرة". فلقد اهتمت هذه الدراسة بالجانب البنائي للعائلة الجزائرية، مركزا فيها على شكل العلاقات العائلية في الجزائر، من خلال الإجابة عن الإشكالية التالية: "ما نوع التطور في الجزائر الذي خاض ثورة اشتراكية، ماهي العائلة الجزائرية في بلد تحدث فيه تحولات بسرعة في مراحل للسير نحو التقدم؟".

فكل أثر ديناميكي يظهر في المجتمع الكبير، على المستوى الاجتماعي، الاقتصادي، السياسي، الثقافي وغيره، يؤدي إلى رد فعل معمم تقريبا، في داخل المجتمع المصغر، الذي هو العائلة، ورد الفعل المعاكس، يمكن أن يتحقق. فكل تحول هام داخل العائلة، لا يمكن إلا أن يؤثر في بنية مجمل المجتمع. لأن العلاقات في المجتمع ككل، أي الجسم كله، وبين العائلة أي الجسم الجزئي التي هي مجتمعا مصغرا، جد مرتبطة وجد معقدة، حتى يصبح من المستحيل الرجوع إلى المجتمع والحديث عنه دون فهم العائلة، لهذا درس الأسرة من أجل تحليل نسق القرابة.

كما ركز في هذه الدراسة على أهم التطورات والخصائص الحديثة، التي مرتبها الأسرة الجزائرية، والتحويلات التي طرأت على البناء العائلي والاقتصادي، من الجزائر التقليدية إلى الجزائر المعاصرة، حيث بيّن أنّ هذه التحويلات، تظهر آثارها فيبنية العائلة، التي تعد القاعدة الأساسية والتي من خلالها يتم فهم المجتمع. حيث يقول "يُصبح من المستحيل الرجوع إلى المجتمع والحديث عنه دون فهم العائلة".

كما أعطت هذه الدراسة جزءا كبيرا للعلاقات والروابط القرابية، وحسب نتائج البحث، يرى ظهور علاقة قرابية جديدة، أضيق مما كانت عليه في البنية التقليدية. فالعائلة أساس البناء القرابي في المجتمع، أصبحت تتجه اتجاها فرديا، قائم على الاختيار الحر، وذلك حسب الخصائص والميول الذاتية، المتعلقة بكل عائلة على حدى، كاتجاه هذه الأخيرة، إلى إقامة علاقات ذات طابع معين ولأهداف معينة، أخذت تكون علاقات تفاعل خارج محيطها العائلي. وتوصل إلى أن الروابط الاجتماعية الجزائرية التقليدية، توجد بقوة في المؤسسات الصناعية، والمصانع، والإدارات، فهي تخترق المجالات الرسمية أكثر،

1- مصطفى بوتفوشنت، العائلة الجزائرية التطور والخصائص الحديثة تر دمري احمد ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر 1984.

فالعشائرية مستمرة في الحياة المعاصرة، في المصانع، لتصبح لها ثقافة كبيرة جدا، مما زاد من شبكة الاتصال والتضامن الغير رسمي، وهنا يرى بونفوشت أن الإطارات الجزائرية، لما تذهب للعمل في الخارج، تحقق نجاحا لأنها في محيط عقلاي أما عملها هنا، فهي في محيط غير عقلاي.

ومن خلال تحليل ما جاءت به هذه الدراسة، في جانبها المتعلق بإشكالية دراستنا، نجد أن بونفوشت توصل لجملة من النتائج أهمها: كل عائلة مركبة، تقابلها عائلة بسيطة، وتطور العائلة المركبة نحو العائلة البسيطة، يتم ببطء شديد، رغم السرعة فيتحول بعض البنيات الاجتماعية، الاقتصادية، التربوية، حيث يتحكم العامل الاقتصادي، بشكل واسع في الوضعية العائلية، وبنيتها وبمجرد ما يتجسد الاستقلال الاقتصادي، في بيت جديد، يحدث تغير جذري في الوضعية العائلية، فيكون تحررها أكيدا. فتطور البنية الاجتماعية الجزائرية لها علاقة بنظام القيم، لأن البنية الاجتماعية، عرفت ولا زالت تعرف أو تكتسب بعض الخصائص الجديدة، وذلك عن طريق الاستعمار الثقافي، بالاتصال مع الغرب من جهة، ومع القيم والتقنيات العالمية من جهة أخرى.

لهذا نعتبر دراسة بونفوشت من أهم الدراسات، إن لم نقل الوحيدة، التي تناولت البنية الأسرية للمجتمع الجزائري، والتحويلات البنوية، التي عرفتها العائلة الجزائرية، مركزا في ذلك على أسبابها ونتائجها، وقد يبدو للوهلة الأولى، أن هذه الدراسة، لا علاقة لها بموضوعنا أو إشكالية بحثنا، ولكن الأساس في البناء الاجتماعي هي الأسرة والعائلة، وبالتالي فما يحدث من تغيير وتحول في البنية الأساسية أو الجزئية، بالضرورة سوف يؤدي إلى تغيير البنية العامة وهي المجتمع، ومن هذا المنظور فقد رأينا في دراسة بونفوشت دراسة سابقة تتعلق ببحثنا.

يعتبر رشيد حمدوش⁽¹⁾ - أستاذ وباحث جزائري بجامعة الجزائر - أحد الباحثين في مجال الرباط الاجتماعي في الجزائر، وذلك بدراسته التي أجراها من خلال تصورات الشباب الجزائري مستعملا متغير التقاليد والحدثة، معتمدا على المنهج الكيفي بمقابلاته، لفئة مهمة من المجتمع الجزائري المعاصر، كما يوضح ذلك، معتبرا هذه الفئة الأكثر ملائمة لقراءة التحويلات التي يعرفها المجتمع الجزائري، وهي فئة شباب الثمانينات، أي شباب ما بعد الاستقلال، في المجتمع الحضري.

يستنتج من دراسته هذه بوجود ثلاث أنماط من العلاقات الاجتماعية، تقابلها ثلاث أنماط من الأسر، وذلك وفق ثلاث أنماط من التفكير، التي قام باستخلاصها من مقابلة لفئة الشباب التي تم تنميطها إلى ثلاث فئات، وذلك حسب الإستراتيجيات الفردية، التي يعمل على بنائها هؤلاء الشباب وفق السلوكات وتصرفات منظمة.

1- رشيد حامدوش، مسألة الرباط الاجتماعي في الجزائر المعاصرة امتدادية أم قطيعة دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر 2009.

1. الروابط الاجتماعية "المحلية أو التقليدية": نجدها عند فئة من الشباب يصعب عليها الانفصال عن مجموعتها الأصلية، أو مجموعة الانتماء (الأسرة، القرية، الحي...) حيث تجد هذه الفئة استقلاليتها، في ما مدى تبعيتها لمجموعتها وجماعتها المحلية الأولى المتمثلة في الأسرة.

هؤلاء "الشباب" المصنفون في هذا النمط من العلاقات، يتموقع على امتداد مع أوليائهم مع "التقاليد"، علاقات اجتماعية تركز أكثر على التضامن، والتبادل الأسري، وفق إستراتيجيات تضامن وتبادل، وهنا الرباط الاجتماعي موجود بشكل واضح وقوي. كذلك هذا النمط من العلاقات ومن الشباب يقابله نمط من الأسر، يسميها باحثنا "بالنمط المغلق" أو "النمط المحلي التقليدي"، تكون نوع السلطة فيه عمودية، هي أسرة تحافظ على نظام داخلي محدد بشكل صارم.

2. روابط اجتماعية "مجتمعية/تعاقدية أو حديثة": نجدها تسود عند فئة أخرى من الشباب (التعاقدية الحديث)، الذي يلح ويشدد على الانفصال شبه الكلي، من مجموعته الأولى، ومن المجتمع الكلي المهيمن، ففي مواضيع تتعلق بالزواج أو البناء الهوياتي، نجد هذا بتصوراته على تلك التمثلات السائدة في أسرته أو الشاب ينفرد بمجموعته القريبة، هنا كذلك نجد أن هذا النمط من العلاقات والشباب، يقابله نمط من الأسر، وصفناه "بالنمط المفتوح"، أو النمط التعاقدية الحديث نمط يشجع عن طريق ماتم استدخاله أثناء العملية التنشئية على التفاعل الكلي للشباب مع وسطه القريب والخارجي، ويشجع خاصة على الانفصال شبه الكلي، من مجموعاته المرجعية والانتمائية الأولى.

3. أما النمط الثالث من الروابط الاجتماعية، وهو النمط الغالب والأكثر انتشاراً، هو ذلك "النمط البيني الوسيط" من العلاقات الاجتماعية، وهي تلك العلاقات التي تتميز بالاستقرار، التغير والتنوع. ففي هذا النموذج، نجد أن فئة الشباب، التي تم تصنيفها ضمن هذا النمط من العلاقات يحاول جاهداً، الانفصال عن مجموعته الأولى، سواء كانت الأسرة، الحي، القرية...، وعلى العكس، يشدد على الاتصال بالمجتمع الضاغطة، أو إعادة وتجديد المفاوضات تركيب وإعادة تركيب لكل سلوكياتهم وتصرفاتهم، فيمسائل وقضايا تعني الزواج مثلاً، أو البناء الهوياتي وتصوير الذات وذلك وفق عملية ذهاب وإياب بين سلوكيات "محلية/تقليدية"، وأخرى "تعاقدية/حديثة".

بعبارة أخرى يتم الانتقال والتفاعل بين ما هو محلي وما هو تعاقدية في المجتمع الحضري. وفي هذا الإطار نجد بأن الشباب وفق هذا النمط، يجد نفسه مجبراً على تخطي الفضاء المحلي التقليدي لمجموعته، لكي يبلغ الفضاء الفردي، "الشيء الذي يوحي بأن كل عملية اتصال أو إقامة علاقات اجتماعية معالغير أو العالم الخارجي، يمر حتماً عبر المجال والفضاء المحلي، وتصبح عملية التواصل والرباط الاجتماعي، حبيسة عملية توازن بين الفضائين والكونين: الفردي والجماعي، المحلي والتعاقدية".

ويقصد رشيد حامدوش أن الفرد يعيش في تغير اجتماعي، يمر من المحلي إلى العام من خلال التنشئة الاجتماعية أولاً، ثم التأثير بالمجتمع والحياة الحضرية ثانياً. كما يسميها بالاستعدادات والعادات المكتسبة المشوشة أو ما يطلق عليه بورديوياً بالاستعدادات المشتتة، التي يكتسبها الفرد، وذلك نسبة إلى الدور الذي تلعبه عملية الثقافة، في تنشئة الأفراد الاجتماعية، التي تغلب وتطغى على الفرد.

لقد قام بلخضر مزوار⁽¹⁾ - أستاذ وباحث اجتماعي جزائري جامعة تلمسان - بدراسة ميدانية سوسيوأنثروبولوجية كيفية، حول الدين والرباط الاجتماعي في الجزائر، حيث أوضح في هذه الدراسة، أن الدين عبارة عن رباط اجتماعي، قد يساهم في تقوية الروابط الاجتماعية، كما أنه قد يكون سبب في تقسيم هذه الروابط وضعفها، إذا لم يمارس بشكل صحيح، وذلك ما توصل إليه الباحث، على أن المجتمع الجزائري، مر بمرحلة وتحولات اجتماعية، أدت إلى انقسام الروابط الاجتماعية فيه، والسبب الرئيسي ذلك هو ظهور جماعة الإسلاميين في الجزائر.

بعد الاستقلال وبالضبط خلال السبعينات، بدأت الدولة بإعادة الترميم والبناء السياسي والاجتماعي، وبسبب الروح الوطنية والقومية، التي كانت بين أفراد المجتمع الجزائري، استطاعت الدولة بناء نفسها، حيث كانت الروابط الاجتماعية متينة وقوية، لكن في أواخر الثمانينات ظهر الإسلاميون في الساحة السياسية الجزائرية تحت لواء الدين الإسلامي، بحكم الكتاب والسنة، إلا أن هذه الجهات الإسلامية، أرادت تغيير المجتمع الجزائري، باستعمال العنف، مما أدى إلى دخول المجتمع في مرحلة عنف وإرهاب وانقسام اجتماعي، أدى إلى انقسام في الروابط الاجتماعية وتفككها.

« ...A la fin des années 1980 l'islamisme fait son apparition sur la scène politique Algérienne islamisme qui manifeste jusqu'à par la violence sa volonté de retour aux sources c'est-à-dire au coran et à la sunna... ».

ويرى بلخضر مزوار أن المجتمع الجزائري، انقسم إلى طوائف وجماعات، بعدما كان مجتمع واحد يتقاسم نفس الدين والعادات والثقافة والتقاليد، كما ظهر جيش إسلامي مضاد للسلطة، هذا ما قسم المجتمع، إلى فرق كل وطائفته، وبالتالي ضعفت الروابط الاجتماعية، بسبب العنف الديني الذي ظهر، وجعل الأفراد يعيشون في رعب وخوف وتباعد، أصبح الأخ يخاف من أخيه، درجة كبيرة من الانقسام في المجتمع الجزائري، كما ظهر نوع من الانقسام الثقافي في المجتمع، فئة الانقسام الثقافي الديني وفئة الانقسام الثقافي العادي، أصحاب الانقسام الثقافي الديني هم أشخاص لهم مظهر خاص look islamique (القميص، اللحية، الحجاب)،

1- بلخضر مزوار، الدين والرابطة الاجتماعية في الجزائر دار الإمة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر 2002.

في صراع مع من ليس لديهم هذا المظهر، فهذا الانقسام الثقافي الفكري في المجتمع، أدى إلى ضعف في الرباط الاجتماعي.

كما عرف المجتمع الجزائري أيضا، نزوح كبير من الريف إلى المدينة، بسبب العنف الذي تعرضت له القرى والمداشر، ففترق الأفراد وابتعدوا عن أهلهم وجيرانهم وأصدقائهم، كل هذه الروابط تأثرت بسبب هذا النزوح والتحول السوسولوجي في الجزائر. وعامة يؤكد الباحث على أن الإسلامويون كانوا سببا في تقسيم المجتمع الجزائري، وتحويله إلى مجتمع يطغى عليه الفردانية Individualisme، رغم أنهم مجتمع مسلم، إلا أنه أصبح يحتوي على روابط اجتماعية ضعيفة ومنقسمة سياسيا، وثقافيا، وعقائديا، وعسكريا، لهذا الفردانية تزيد يوما بعد يوم، لأن المشروع الإسلامي إذا لم يمارس بشكله الصحيح، ودون تزييف وترهيب سيؤدي فعلا إلى تقسيم وتفكك اجتماعي، خاصة في العلاقات والروابط الاجتماعية.

قامت سوامية نورية⁽¹⁾ - أستاذة وباحثة جزائرية جامعة معسكر - بدراسة سوسيوأنثروبولوجية للجيرة كراباط اجتماعي في المجتمع الحضري ببلدية أرزيو بولاية وهران، مستعملة المقابلة كتقنية منهجية، لـ 32 عائلة في حي الهضاب ميدان الدراسة، ووجدت أن الروابط الاجتماعية، تغيرت عما كانت عليه وذلك لعدة أسباب منها: التغير الاجتماعي للمجتمع الحضري الجزائري بشكل عام.

كما أن طول المدة السكنية بين الجيران، له أثر كبير في تكوين علاقات جيرة، إضافة إلى عامل الثقة النفسية في تكوين هذه العلاقات. وتزيد الروابط بين الجيران، بسبب صلة القرابة في بعض الأحيان أو الأصل الجغرافي المشترك. إلا أن رابطة الجيرة تزيد أو تقل حسب المستوى الاقتصادي والثقافي للأسرة، "فهي تضعف قليلا لدى الأسر الميسورة ماديا، وذات مستوى ثقافي عالي وتقوى عند الفئات العمالية البسيطة، ذات الدخل المادي المحدود، بسبب الاعتماد المادي المتبادل، كما أنها تقوى لدى الأسر الممتدة أكثر من الأسر النووية".

ومما أنقص رباط الجيرة أيضا، حسب نورية سوامية، هو خروج المرأة إلى العمل، الذي أضعف الروابط الاجتماعية، نظرا لنقص الوقت وزيادة المسؤوليات على المرأة العاملة. ومن خلال هذا يبدو واضحا أن رباط الجيرة تزيد شدته وتضعف، حسب المكان أي المجتمع الحضري والغير حضري، السكن الفردي والعمودي، وكذلك المستوى الثقافي والاقتصادي للأسر. زيادة على ذلك ترى الباحثة أن رباط الجيرة في المجتمع الحضري، طبيعته الحقيقية هي المصلحة في غالب الأحيان، لأن الروابط التي يشكلها الأفراد ليست متماسكة بدرجة تماسك الروابط الدموية أو القرابية". ممالا شك فيه تقوم التجمعات المصغرة، داخل الحي على أساس التجاور المكاني هذا الأخير يلعب دورا في إنشاء تفاعلات

1- نورية سوامية، الرباط الاجتماعي الحضري (الجيرة كرابطة اجتماعية) رسالة دكتوراه كلية العلوم الانية والاجتماعية جامعة وهران 2 دكتوراه في علم الاجتماع و الديموغرافيا.

بين الأسر، لكن لا يجعل من علاقاتهم أولية متماسكة، في أغلب الأحيان ورغم ذلك فهم يتضامنون، إذا ما دعت الضرورة لذلك، واحتاجوا لبعضهم البعض".

كما تؤكد الباحثة، على أن رابطة الجيرة مازالت قائمة في مجتمعنا، حسب دراستها ويعود ذلك لوجود العامل الديني والتنشئة الاجتماعية، التي تلعب دورا هاما، في تكوين شخصية الفرد، إضافة إلى ذلك دور التقاليد. وهنا يتفق معظم الباحثين، على أن التغيير والتحول الاجتماعي، لهما دور كبير في تحول الروابط الاجتماعية، بكل أنواعها في المجتمع الجزائري، كما أنهم يؤكدون على ظهور شكل جديد من الروابط الاجتماعية في المدينة تغلب عليها المصلحة الخاصة للأفراد.

كما أجريت بعض الدراسات الأخرى في ولاية وهران حول الرابطة الاجتماعية، منها دراسة مجموعة من الباحثين الاجتماعيين بجامعة وهران، على رأسهم حجيج الجنيدي ومصطفى عمشاني ومصطفى غماري، في إطار مشروع CNEPRU.

حيث توصل هؤلاء الباحثين إلى أن العلاقات الاجتماعية، أصبحت ضعيفة أو غائبة في مدينة وهران، فهي تعيش أزمة هوية عميقة، لأن السكان يعيشون حالة من الفردانية، فأصبح يقل التواصل بين الأسر في الأحياء التي درسوها وهي حيال صباح وحي الياسمين، نظرا لضعف رباط الجيرة أو انعدامه، في بعض الأحيان إلا عند الضرورة، كما رأى الدكتور حجيج، من خلال بحثه "بحي خميستي واسطوبوهران"، على أن رغب القرب المجالي بين الأسر، إلا أنه يفتقر للقرب الاجتماعي بينهم، قاصدا بذلك أن التباعد الاجتماعي، هو العامل الطاعي في الحياة اليومية للأفراد، وذلك لغياب العلاقات الاجتماعية فالأفراد يسكنون بالقرب من بعضهم البعض إلا أنهم لا يتعايشون إلا للضرورة.

4- الاتجاهات النظرية في دراسة القرابة:

الاتجاه التطوري:

يتجه العلماء من أنصار هذا الاتجاه في نظريتهم عند دراسة نظام القرابة اتجاها تطوريا، وذلك بالبحث عن البداية الأولى للنظم القرابية، ثم تقبع المراحل المختلفة التي مرت بها والأشكال التي اتخذتها تلك النظم في مختلف المراحل⁽¹⁾. ومن أبرز من كتب في هذا الاتجاه لويس هنري مورجان (1818-1888) أحد العلماء الأنثروبولوجيين الذي تأثر بالنزعة التطورية، وضع نظرية أساسها تطور الحيات العائلية والزواج من البساطة إلى التعقيد⁽²⁾. فقد قدم 139 نسقا للقرابة من أجزاء مختلفة من العالم واستخلص من تلك الدراسة

1- السيف محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن، التغيير الاجتماعي والعلاقات القرابية، دراسة سوسيوأنثروبولوجية في المجتمع، دار المهرجان الوطني للتراث والثقافة، كلية الملك فهد الأمنية، الرياض، 1990، ص 39.

2- أبو زيد أحمد، البناء الاجتماعي، مدخل لدراسة المجتمع، ج2، دار المعرفة الجمعية، الكويت، 2011، ص 278.

أن العائلة الإنسانية أو البشرية في عمومها قد مرت بثلاث مراحل أساسية وهي مرحلة التوحش أو الهجومية ومرحلة البربرية ثم أخيراً مرحلة الحضارة أو المدنية⁽¹⁾.

نجد إلى جانب نظرية مورجان نظرية الباحث السويسري "باخوفن" من خلال كتاب "حق الأم" سنة 1861، ووضع من خلال دراسته هذه تتابعا زمنيا لنظم الزواج والأسرة والميزة والتركيب الاجتماعي، وتتلخص آراءه في وجود عدة مراحل أقدمها مرحلة الاختلاط الجنسي، تليها مرحلة النظام الأمومي الذي تثبت فيه صلات الأمهات بالأبناء ويسمى "باخوفن" هذه المرحلة بالأمازونية⁽²⁾، بمعنى انتقال السيادة السياسية إلى الرجال بعدما كانت في المجتمعات الأولى للنساء أي تحول النظام، انحدار النسب الأمي إلى النسب الأبوي⁽³⁾. أما ماكلينان (1827-1881) فقد درس في كتابه "الزواج البدائي" المراحل التاريخية التي مرت بها تقاليد القرابة والزواج في العالم، حيث ذكر بأن الشاعبة الجنسية كانت مسيطرة على المجتمع البدائي منذ بداية تكوينه، وفي ظل هذه المشاعية تكون جميع النساء في المجتمع حق مشاعا لجميع الرجال وجميع الرجال حق مشاعا لجميع النساء دون أن يتقيد بنظام الزواج المعروف، وبعد تقدم الإنسانية في المراحل الحضارية تغير هذا النظام إلى النظام القرابة والنسب الأمي الذي كان ماثلا في اليونان القديم ثم تحول إلى النظام الأبوي، وأخيراً أصبح نظام القرابة والنسب مشترعا، أي يمكن اقتفائه من خلال خط الذكور وخط الإناث⁽⁴⁾.

إن التطوريون لهم السبق في تسليط الضوء على قضايا مهمة، فتحت مجالا واسعا للدراسات العلمية التي أعقبتها في القرن العشرين، مثل دراسات حول القرابة والأسرة والانحدار القرابي ومصطلحات القرابة وغيرها من الاهتمامات الأنثروبولوجية.

الاتجاه البنائي الوظيفي:

سيطرت نظرية النسب (أو الانحدار القرابي) طوال الفترة ما بين الثلاثينات والستينات، وكانت مرتبطة بأعمال عالم الأنثروبولوجيا المتخصص في الدراسات الإفريقية "مايز فورتنس" (M. Fortss)، والدراسات النظرية "الرادكليف براون"⁽⁵⁾. ويرى أصحاب هذه النظرية أن التناسل لا الزواج هو الذي يضمن استمرارية وتماسك المجموعات البشرية الأساسية التي يتألف منها المجتمع، فاستمرارية وتضامنا لمجموعات البشرية يقومان على أنظمة القرابة المنبعثة من سلالاتي الأب والأم ومن هنا يلعب النسب البنيوي الدور الأساسي في تشكيل ما نطلق عليه اسم النظام الاجتماعي بأبعاده الاقتصادية والثقافية والرمزية

1- رشوان حسن عبد الحميد أحمد، دور المتغيرات الاجتماعية في التنمية الحضرية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2004، ص 137.

2- زايد أحمد وآخرون، الأسرة والطفولة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ب. ت، ص 8.

3- إحسان محمد الحسن، علما الاجتماع العائلة و القرابة والزواج دار الطليعة للطباعة و النشر بيروت ط2 1985، ص 23.

4- إحسان محمد الحسن، مرجع سابق، ص 23.

5- جوردن مارشال، موسوعة علم الاجتماع المركز القومي للترجمة التابع للمجلس الأعلى للثقافة القاهرة، 2000، ص

والاتصالية⁽¹⁾، ويذهب أصحاب نظرية النسب أو الانحدار القرابي إلى أن نظم القرابة هي التي تضمن استمرار وجود الجماعات القرابية ككيانات سياسية عبر الزمن، ويعني هذا أن العلاقات داخل الجماعات القرابية يجب أن تتأسس وتستمر من خلال صلات الانحدار القرابي الحقيقية والمتخيلة التي يمكن إرجاعها إلى أحد الوالدين أو كليهما فبؤرة الاهتمام هنا هي العلاقة بين الأب والابن والعلاقة بين الإخوة⁽²⁾، قد أخذ براون يعيش الاعتبار لأهمية الجماعات الاجتماعية التي تتمتع عادة بدرجة عالية من القدرة على البقاء والاستمرار، وقد بقي تركيزه على العلاقات بين الأفراد أو ما يسميه بالعلاقات الثنائية أي العلاقات التي تقوم بين فرد وآخر. فالنظام الأسري يتكون من علاقات ثنائية بين الزوج والزوجة وبين الوالدين والأبناء وبين الإخوة والأخوات وبين الأسرة نفسها والأقارب، وتمثل الأسرة الأولية الوحدة البنائية للنسق القرابي منهج براون التحليلي والمقارن والوحدة الأساسية للبناء القرابي وعلاقات المصاهرة لأيشخص، وهي ارتباطات يمكن تتبعها من خلال والديه وإخوته وقريته وأبناءه⁽³⁾. واهتم رادكليف براون بمكانة "الخال" وأهميته، فهو يرى أن مفهوم الخؤولة يتضمن نسقين متعارضين الاتجاهات، في النسق الأول يمثل الخال السلطة العائلية وبالتالي فهو يتمتع ببعض الحقوق على ابن أخته الذي يظهر نحوه الطاعة ويشعر بالرغبة والخوف منه، بينما في النسق الثاني يتمتع ابن الأخت ببعض الامتيازات التي تتمثل في عدم الألفة نحو الخال وذلك في المجتمعات التي تكون السلطة العائلية أبوية، حيث يمثل الأب السلطة والخال جانب الحنان وحين يمثل الخال السلطة في المجتمعات الأموية تكون العلاقة مع الأب تتسم بالموادقة والألفة⁽⁴⁾.

ومنه فإن جل هذه الدراسات أعطت الأهمية الأولى للانحدار القرابي والخلافة، وتتسم بأنها دراسات أمبريقية إلى حد ظاهر، كما تتسم بارتباطها تاريخياً بالنظرية الوظيفية، حيث يذهب أصحاب نظرية الانحدار القرابي إلى أن نظم القرابة وجدت لكي ترسم وتعين الحقوق والواجبات داخل المجتمعات⁽⁵⁾.

كما أدرك جميع منظري هذا الاتجاه براون، مارسيل موسى، مالينوفسكي، أن العلاقات القرابية هي وسائل اجتماعية معدة للقيام بوظيفة اجتماعية ألا وهي تأمين التوازن الاجتماعي وتأسيس السلم بين أفراد وتمتين التلاحم بين أعضاء المجموعة⁽⁶⁾.

1- فريديريك معتوق، قاموس علم الاجتماع (إنجليزي، فرنسي، عربي)، مراجعة محمد دبس، أكاديمية بيروت، بيروت، 1998، ص 161.

2- جوردن مارشال، مرجع سابق، ص 1115.

3- محبوب محمد عبده، طرق البحث الأنثروبولوجي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص 114.

4- شريف فاتن، الأسرة والقرابة، دراسة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2006، ص 38.

5- جوردن مارشال، مرجع سابق، ص 1115.

6- بن أحمد محمد، الأنثروبولوجيا البنيوية وحق الاختلاف، دار محمد علي الحامي، ط1، صفاقس، تونس، 1978، ص 70.

الاتجاه البنائي:

يعتبر ليفي ستروس أحد رواد الأنثروبولوجيا المعاصرين، حيث وضع نظرية عامة فيالقرابة في كتابه الأول "البنى الأولية للقرابة 1949 ودراسته لأنظمة القرابة" توصل منخلالها إلى مفهومين أساسيين هما: ذرة القرابة، ونظرية الاتحاد (التحالف) والزواج ولعبهذين المفهومين دور جوهري في تحديد وفهم مسألة القرابة في منظورها الحديث⁽¹⁾. ولقداجتهد ليفي ستروس في تبيان كيف يتواصل الأفراد والمجتمعات مع بعضهم البعض، ووجد فيالتواصل والتبادل مفهوما موحدا فهو يرى أن المجال الإنساني هو عالم من التبليغات وكونمن الرسائل ويتعرف على ثلاث مستويات لآلية التواصل، إذ يتوفر المستوى الأول علنتظيم وتبادل الخبرات والخدمات، بينما المستوى الثاني يتصدى إلى عقلنة تبادل الرسائلوالمعاني، أما المستوى الثالث فيضبط مستوى تبادل النساء وتداولهن وعليه يجزم ليفيستروس بأن دراسة نظام القرابة أو النظام الاقتصادي أو نظام اللسان لا تخلو من تماثلبنوي⁽²⁾. ووجود بنية القرابة تتطلب اشتمال هذه البنية على نماذج العلاقات العائليةالثلاثة المبنية دائما في المجتمع البشري وهي علاقة العصب وعلاقة زواج وعلاقة نسب، بعبارةأخرى علاقة شقيق بشقيقته وعلاقة زوج بزوجته وعلاقة قريب بطفل وبهذا الاعتبارتخلق بنية علاقات قرابة معينة.

يحلل كلود ليفي ستروس مظاهر تحريم زواج الأقارب ليوضح إيجابياتها، حيث أنالاتحاد بالنساء بعيدات ضروريا، وبالتالي تحرير الأولويات لرجال أبعد، وهذا يعني جعل اتحاد الجنسين موضوعا للتبادل أي اتحادا تصاهريا وهكذا تنشأ عملية التواصل، ويدللفي ستروس على أنها تعمل بطريقة منتظمة حيث التصاهرات اللاحقة هي التصاهراتالسابقة⁽³⁾. وفي نظر ليفي ستروس أن الابنة نترك أهلها وليس الابن حاملة إرث عائلتهاالماديوالقرابي والثقافي الرمزي والاتصالي، ذلك أن العلاقات الاجتماعية تتم مع الخارج أيمع المجتمع لا مع الداخل في بقاء الابن في أحضان عائلته⁽⁴⁾.

إن زنا المحارم عند ستروس هو قانون عام للتبادل بين الجماعات القرابية والتي تفرضالزواج الخارجي وتمنع الزواج الداخلي بين أفراد نفس الجماعة⁽⁵⁾.

يرى ليفي ستروس أن نظم القرابة إما أن تكون أولية أو مركبة، ففي ظل النظم الأوليةيختار الفرد شريك العلاقة الزوجية وفقا لقواعد اجتماعية محددة محكومة لقانون زنا المحارم، فمثل التنظيم الذي يقال عنه ثنائي يؤدي بالمجتمع على الانقسام إلى طائفتين مختلفتين تخضعفي بعض الأحيان إلى قاعدة الزواج الخارجي، فهي تلزم الرجل الزواج من

1- فريديريك معتوق، مرجع سابق، ص 52.

2- بن أمودة محمد، مرجع سابق، ص 69.

3- دان سبيربر، البنية في الأنثروبولوجية، دار التنوير للنشر والتوزيع، بيروت، 2006، ص 11.

4- فريديريك معتوق، مرجع سابق، ص 52.

5- السخاوي مصطفى، النظم القرابية في المجتمع المحلي، دار المعرفة الجامعية، الأزريطة، مصر، 1996، ص 46.

طائفة منافسة، فالأشخاص من نفس الطائفة هم أقارب متوازنون، أما الأفراد من طائفة أخرى هم أقارب بالتقاطع، ومجموع مفردات القرابة تترتب بالدرجة الأولى من جماعة الإخوة والأخوات الذين يمنع الزواج فيما بينهم، بينما الأقارب بالتقاطع فعكس ذلك، فهم الأقارب الأوائل الذين بالإمكان الزواج منهم⁽¹⁾. يميز "إيفي ستروس" بين نظامين للقرابة الأول المتمثل في النظم الأولية يميز المجتمعات البدائية والتقليدية أين يختار الشخص شريك العلاقة الزوجية وفقا لقواعد اجتماعية محددة غالبا ما تكون متمثلة في قواعد القرابة، بينما على العكس من ذلك لا يختار هذا الشريك في النظم المركبة التي تميز المجتمعات المتقدمة، وفقا للقواعد السابقة وإنما وفقا لاختيار الشخصي⁽²⁾.

5- النظريات الحديثة في أنثروبولوجيا الانتماء والقرابة:

إذا كان الإنسان في الماضي لم يكن سوى جزء من الطبيعة الاجتماعية، إلا أنه من خلال علاقته الاجتماعية وممارسته مختلف الأنشطة تولدت لديه رغبة في التوحد مع الآخرين، وأصبحت من أهم شروط الوجود المميّزة للجنس البشري، ومن أقوى دوافع السلوك الإنساني، لذلك كان الإنسان دائما منتما للعشيرة أو القبيلة أو زملاء العمل، وترجع قوة التوحد مع الآخرين إلى حاجة الإنسان لتأكيد ذاته وأن يكون نشيط في ظل جماعة وأن يقوم بمهام شاقة وهو مسرور، حتى لو لم يكن وراء ذلك عائد مادي. وقد كانت الحاجة للعطاء والتبادل الوجداني والاستعداد للتضحية في سبيل الجماعة سمة من سمات الانتماء.

هناك توحد بين الانتماء للطبيعة والانتماء الاجتماعي.

وضح إريك فروم الحاجة للانتماء كأول وأهم الحاجات إلى الارتباط بالجنور والحاجة إلى الهوية وإلى إطار توجيهي كي تكتمل الحاجات الإنسانية الموضوعية التي أصبحت جزء من الطبيعة الإنسانية خلال عمليات التطور والارتقاء، والذي يحاول كل إنسان فيها السعي نحو الكمال وتحقيق الذات³.

ويمكن تعريف الانتماء بأنه العلاقة الإيجابية والحياتية التي تؤدي إلى التحقق المتبادل، تنتقي منها المنفعة بمفهوم الربح والخسارة، وترتقي إلى العطاء بلا حدود الذي يصل إلى حد التضحية.

يتجلى الانتماء بصورة عالية عندما يتعرض الوطن للاعتداء خارجي، والانتماء قد يكون طبيعياً فطرياً خاصاً عند الإنسان العادي بفعل الوجود الإنساني واستمرار البقاء في ظل الوطن وضمن النظام الاجتماعي. وقد يكون انتماء عاطفي تجاه موقف أو ظروف طارئة، لكن

1- Alan Beitone, *Sciences sociales*, Campus Plogred, France, 2000, p 174.

2- شارلوت سيمور سميتيموسوعة علم الانسان المفاهيم والمصطلحات الانثروبولوجية المركز القومي للترجمة القاهرة 2009، ص 148.

3 أشرف السيد: أبو السعود، مشكلة الإلتئاء الولاء، مظاهرها، أسبابها، علاجها، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006، ص 194.

أرقى انتماء الانتماء المنطقي الناتج عن المعرفة وإعمال العقل، ونسبة المنتمون منطقية قليلة لكنها دائماً فاعلة ومؤثرة في حركة المجتمعات.

هناك عوامل تساعد على ارتفاع درجة الانتماء للوطن مثل وضوح الهوية وتحقيق العدالة، وإمكانية التحقق داخل الوطن، والعكس دائماً تؤدي إلى تدني نسبة الانتماء، وليس معنى الانتماء هو التوحد السلبي بالوطن ولكن الانتماء الحقيقي والمنطقي يجب أن يبني على المعرفة والإدراك واستبصار حركة الواقع واتخاذ الموقف الإيجابي باستخدام الأسلوب العلمي سواء بالموافقة أو المخالفة¹.

ويعرفه موسى الشرقاوي بأنه إحساس الفرد أنه جزء من كل، فإذا كان عضواً في أسرة فهو جزء لا يتجزأ منها، وإذا كان فرد في مجتمع فهو جزء من بنية المجتمع يعيش فيه ويتعايش معه ويتفاعل مع تفاعلاته ويعتق أيديولوجيته ويمثل ثقافته ويتمسك بها ويكون ولاؤه أولاً وأخيراً لهذا المجتمع.

يرى آرثور بوغنر "Arthur Bogner" في تعريفه للانتماء بأنه "عنصر من عناصر المواطنة يهدف إلى الشعور بالهوية لمجتمع ما، فيما يحويه من بعد عاطفي واجتماعي وأمان، وخلق نمط من التقارب بين الجماعات البشرية من جهة ومجتمع يعيشون فيه ويتأثرون به من جهة أخرى، ومن تمّ فإن الأفراد يكتسبون نمط من الانضمام لهوية مجتمعية تكسبهم صفات مشتركة مثل اللغة والعرق والعضوية في ضوء فكرة المشاركة على أساس العيش في إقليم مشترك، والإقامة فيه جنبا إلى جنب مع العديد من المبادئ الأخرى مثل الحنين إلى العيش المشترك في إطار أمة تبني نفسها بهويات أعضائها كوحدة اجتماعية ذات انتماء مكتسب"².

وتعرفه كريستينا هيكممان "Christina Heckmann" بأنه بناء عقلي يرمز إلى التمثيل القومي، للمكان الذي ولد فيه أسلافنا وعاشوا فيه، وتم استبدالنا مكانهم حاملين جذورهم الاعتقادية وهوياتهم القديمة بأدوات معاصرة. فالوطن بالنسبة لأفراده يؤدي وظيفة هامة في حياتهم مثل بث قيم التوجيه والانتماء والإشباع والعطاء والاندماج الاجتماعي الذي يهتم باليات التكيف الاجتماعي للفرد داخل المجتمع". كما يرى "ماكوين" أن مفهوم الانتماء قائم على شعور الأفراد بالانجذاب لأوطانهم التي ولدوا فيها في جميع حالاتهم (الشدة والرخاء) ويتضامنون مع قضاياها وتحدياته، في إطار أن البيت والمجتمع من أجل الشعب³.

وضع "يندي غاردنر Wendi Gardner" رؤية حديثة لنظرية الانتماء داخل المجتمعات بعنوان "النظريات الحديثة لانتماء الفرد في الجماعة" حيث أشار في هذع الدراسة إلى الرؤية إلى حاجة الفرد داخل المجتمع لخلق علاقات مع الآخر لإشباع حاجاته الإنسانية من

¹ - أشرف السيد أبو السعود، المرجع السابق، ص 194.

² - نفس المرجع نفس الصفحة.

³ - المرجع السابق، ص 194.

الاحتواء والسعادة والتواصل، وبهذا ينخرط الفرد في دوائر متعددة من الانتماء داخل المجتمع الواحد، تشكل في النهاية دائرة كبيرة وهي دائرة انتماء الفرد لوطنه بما له من حقوق وما عليه من واجبات في نطاق القبول الاجتماعي لهذا الفرد.

من المؤكد والمتعارف عليه أن علماء الأنثروبولوجيا في القرن 19 قد اتجهوا في دراساتهم للأنساق القرابية اتجاها تطوريا في البداية، ذلك تماشيا مع التيار الفكري الذي ساد في ذلك العصر.

حاول الأنثروبولوجيون ضمن هذا التيار فهم كيفية نشأة وتطور المجتمعات وثقافتها، إذ يمثل تاريخ الإنسانية وتاريخ الثقافة بما يشمل من عادات وتقاليد وتنظيم... خطا تصاعديا، كما أن البشرية تمر بمراحل تطورها التاريخي فتتدرج من الأشكال البسيطة إلى الأشكال المعقدة الأكثر تعقيدا، وهذه السيرورة ملازمة لكل مجتمعات والثقافات نتيجة الوحدة النفسية المشتركة بين البشر.

وقد ركزت على الفروض الأولى لصور وأشكال الزواج واهتمت بدراسة الأحكام والقوانين التي تفسر التطور والتحول التاريخي للزواج، واهتمت بدراسة الفرضيات التي تفسر أصل ونشوء الزواج وعلاقته بأصل ونشوء الأسرة.

ظهرت عدة أبحاث ومؤلفات في هذا الشأن منها "حق الأم" لباخوفمن، "أبحاث في التاريخ المبكر للجنس البشري" لتايلور، "أنظمة القرابة والمصاهرة في الأسرة البشرية" لمورغان.

يرى هذا الأخير أن القرابة تسيطر على التاريخ الإنساني البدائي وأنها العلاقات تاريخا ومنطقا، واكتشف أن أنظمة القرابة في المجتمعات البدائية تركز على تبادل النساء بين الجماعات الخارجية لا يتنافى والزواج اللحمي (الداخلي)، لأن الزواج الخارجي (الاغترابي) بين العشائر هو تكملة للزواج اللحميين القبائل، وأوضح أن العشيرة هي الشكل السائد من أشكال التنظيم الاجتماعي لدى جميع الشعوب التي تجاوزت مرحلة التوحش، وقدميز بين نوعين من العشيرة، العشيرة التي تنتسب للأم والعشيرة التي تنتسب للأب.

وقال الأسبقية التاريخية والمنطقية لأنظمة قرابة الأم على قرابة الأب، متبنيا في ذلك إحدى فرضيات باخوفن.

قدم لويس مورغان 139 نسقا للقرابة من أجزاء مختلفة من العالم، واستخلص من تلك الدراسات أن الأسرة أو العائلة البشرية مرت بثلاث مراحل هي:

(1) مرحلة التوحش.

(2) مرحلة البربرية.

(3) مرحلة الحضارة أو المدنية.

كما أنه وضع تصورا تطوريا في خمسة نقاط:

(1) عائلة روابط الدم: وهو نمط العائلة يشيع بداخله الزواج الجماعي.

2) **العائلة البولياندرية:** وهو نمط عائلي متطور.

3) **نمط العائلة الزوجية:** وهو يقوم أساسا على الزواج بين رجل وامرأة واحدة.

4) **نمط العائلة الأبوي:** حيث يكون النسب فيها للأب ويشيع ضمن هذا النمط زواج رجل واحد بعدة زوجات.

5) **مرحلة العائلة الأحادية:** حيث يكون زواج الرجل من امرأه واحدة، وزواج المرأة من رجل واحد فقط، يلتقي هذا التصور مع تصور باخوفنا الذي اهتم بالدراسات القانونية والأساطير واللغويات، فأصدر كتابه "حق الأم" سنة 1861، وضع فيه تتابعاز منيا لنظم الزواج والأسرة والتركيب الاجتماعي، وهو الآخر رأى بأن الزواج والقرباة مرا بعدة مراحل، أقدمها مرحلة الاختلاط الجنسي، تليها مرحلة ثورة المرأة على الأوضاع وتأسيسها بما يسمى بمرحلة النظام الأمومي الذي يثبت فيه صلات الأم بالأبناء وانتسابهم لها. وأخيرا النظام الأبوي، حيث يكون نسب الأبناء للأب.

يستشهد باخوفن على ذلك بشواهد من المجتمعات البدائية والأساطير التي سادت المجتمعات القديمة، ويفسر زنا المحارم بأنها شكل من أشكال الإباحية الجنسية، وهي مرحلة من تطور المجتمعات الإنسانية.

ماكلينان هو الآخر اهتم بهذا الموضوع الزواج والقرباة من خلال كتابه "الزواج البدائي". فبحث في أصل الزواج الداخلي والخارجي ومراحل التطور التي مرت بهاتقاليذ الزواج والقرباة وتوصل إلى أن الإنسان كان يحيا حياة إباحية مطلقة ثم انتقل إلى مرحلة البولياندرية أو تعدد الأزواج بالنسبة للمرأة الواحدة، ثم إلى نظام الانتساب للأب الذي حمل النظام الأمومي، كما أن القرباة والعائلة والانتماء والولاء مرّ بمراحل تطورية، حيث كانت القبيلة هي أولا ثم بعدها العشيرة والبيت الكبير وأخيرا العائلة. وقد اعتمد في تفسيره للنظام السائد حاليا على المجتمعات التقليدية.

هنا كذلك ممناهتموا بموضوع الزواج والقرباة "ماكلينانجوفرجسن" من خلال كتابه "الزواج البدائي" فبحث في أصل الزواج الداخلي والخارجي ومراحل التطور التي مرت تقاليد الزواج والقرباة وتوصل حسب فروضه إلى أن الإنسان كان يحيا حياة إباحية مطلقة ثم انتقل إلى مرحلة البولياندرية أو تعدد الأزواج بالنسبة للمرأة الواحدة إلى نظام الانتساب للأب الذي حمل النظام الأمومي، كما أن القرباة والعائلة والانتماء والولاء مرّت بمراحل تطورية، حيث كانت القبيلة هي أولا ثم بعدما العشيرة والبيت الكبير وأخيرا العائلة. واعتمد في تفسيره للنظام السائد حاليا على المجتمعات التقليدية.

2) **نظرية التحالف لكلود ليفي ستروس:**

ويمثل الاتجاه البنيوي في الأنثروبولوجيا، إذ تتضمن البنيوية حسبة وجود بنيات تتحكم في العلاقات والظواهر، انصبت أعماله على (المجتمعات البسيطة وظواهرها كأنماط القرباة والأساطير)، واستقمنفهوم البنية من حقل اللغة (اللسانيين) ومن أعمال "فريناند دي سوسير"

التي تركز على اللغة كنسق نحوي شكلي يتكون من بنيات (كلماتوجمل)، وهذاالتناسق هو الذي يحدد المعنى. وقد استخدم نفسمنهجاللغويين وطبقه في دراستهم للمجتمع. تقوم نظريته على أنظمة القرابة التي هي المؤسسات الأساسية فيالمجتمعات المدروسة، ويمثل البناء بالنسبة إليه "نسق من العلاقاتالقائمة بين الوحدات والرموز المؤلفة له، وأن أي تغيير في تلك العلاقاتالقائمة بين الوحدات ينجم عنه تغيير في البناء الكلي، ويهدفالمنهج البنيوي إلى الكشف عن العلاقة بين الوحدات أو الظواهر أكثر مناهتمامه بالرموز والوحدات والظواهر في حد ذاتها.

تمثل "ذرة القرابة" محور نظريته ويقصد بها سترأوس أصغر وحدة في القرابة التي يمكن أن نلاحظها عند الإنسان، ويقوم هذا المفهومعلى ثلاثة أنواع من العلاقات:

- العلاقة بين الزوج وزوجته.
- العلاقة بينأخ وأخته (من زواج واحد).
- العلاقة بين والد ووالدة من جهة، وولد من جهة أخرى، هذا هو الشكل الأساسيوالذري للعلاقة القرابية عند البشر. تتفرع عن هذه الذرة القرابية العلاقات الاجتماعية بشكلها الواسع والنظام الاجتماعييقوم على هذه المعادلة إلى حد كبير.

للزوجة دور أساسي وجوهري في عملية التبادل،بحيث تستند العلاقاتالاجتماعية القرابيةعلى مجيء الزوجة إلى بيت زوجها مع كل ما تحمله من إرث مادي وقرابي وثقافي ومزايا، فالابنة هي حاملة إرث عائلتها، ذلك أن العلاقات الاجتماعية تتم مع الخارج أي مع المجتمع لا مع الداخل مع بقاءالابن في أحضان عائلته، ويقول في هذا الصدد "إن بناء القرابة يحتاجدائماً إلى رجل يتخلى عن ابنة أو أخت لصالح رجل آخر يتزوجها، فالبنيان القرابي يقوم على الزوجة القادمة مع خارج العائلة البيولوجية، وبالتاليفهو يلعب دور الركيزة الأساسية في بناء القرابة الموجهة نحو الخارج في جميع الحضرات العالمية.

من هذا المنطلق يرى ليفي سترأوس أن المجتمع مبني على خطر زنا المحارم، الذي هو عبارة عن علاقة جنسية بين أفراد تربطهم قرابة تصل إلى مستوالتحريم، وكل المجتمعات الإنسانية تمنعهذا النوع من الزنا (الكل يحرم زواج الأب من ابنته والأم من ابنها والإخوةمنالأخوات...).

إن حضر الجنس بينأفراد العائلة وتحريمه، يدفع الرجال إلى تبادل النساءمن عائلات أخرى نتيجة للزواج، وهذا ما يؤدي إلى خلق بنية اجتماعيةأكبر من العائلة النووية.

زنا المحارم حسب سترأوس هو بمثابة مرور فعل طبيعي إلى ثقافي للمصاهرة، هي بمثابة قانون عام للتبادل بين الجماعات القرابية التي تفرض الزواجي الخارجي وتمنع الزواجي الداخلي بين أفراد نفس الجماعة.

3نظرية الانحدار القرابي:

يرى أصحاب هذه النظرية أن نظم القرابة هيالتنظيم استمرارية وتماسك المجموعات البشرية الأساسية التييتألف منها المجتمع، فتضامن المجموعات البشرية

واستمراريتها يقومان على أنظمة القرابة الناتجة من سلالاتي الأب والأم، وبالتالي يلعب النسب البنيوي الدور الأساسي في تشكيل النظام الاجتماعي بكل أبعاده الاقتصادية والثقافية والرمزية والاتصالية. فيجب على الجماعات أن تتأسس وتستمر من خلال صلات الانحدار القرابي الحقيقية أو المتخيلة التي يمكن إرجاعها إلى أحد الوالدين أو لكليهما، فمحور الاهتمام هنا هو العلاقة بين الأب والابن والعلاقتين الإخوة.

البنية الأساسية للقرابة عند "راد كليف براون" هي العلاقات الاجتماعية، إذ تشير عندها إلى نوع من التركيب بين الأجزاء التي تدخل في تركيب الكل وتجعل منه منهيبة متماسكة وتشير مختلف الأجزاء المشكلة للكل إلى مختلف الأنظمة الاجتماعية وليس للأفراد باعتبارهم كائنات بيولوجية. فيرى أن "العائلة البيولوجية المكونة من الأب والأم والأولاد يكفي لتشكيل النواة الأساسية الأولى للقرابة في النظام الاجتماعي"، وأن التناسل هو أساس القرابة أي يركز على قرابة الدم.

تمثل وظيفة نظم القرابة حسب نظرية الانحدار القرابي في تحديد حقوق وواجبات الأفراد ضمن المجتمع.

4 ابن خلدون:

يعتبر ابن خلدون من أوائل المفكرين الذين اهتموا بالنسق القرابي واتجاهات الأنساب من خلال مفهوم العصبية وأهمية القرابة وعلاقتها بالسياسة والحكم والدفاع في المجتمعات التي عايشها، فالعصبية هي الرابطة المعنوية التي تربط ذوي القربى والأرحام ببعضهما البعض، وتعنى الترابط والاتحاد واستعراض أشكال العصبية وصورها المختلفة، وقد استعمل عدة مفاهيم ترتبط بالقرابة (قرابة السلف، قرابة النسل، الالتحام، الشرف، الحسب، الحلف، الولاء والبيت والرئاسة...).

العصبية في شكلها الأول تكون مرتبطة بالقرابة الدموية والنسب الواضح والصحيح التي تحدث الالتحام والتواصل من أجل الدفاع عن التجمع العام.

أما المستوى الثاني من شكل العصبية فهو الانتقال من النسب إلى الاجتماعي، حيث تتجاهل الأجيال اللاحقة النسب وأصله، وأقرت مبدأ تساقط الأنساب عن طريقة القرابة والحلف والولاء، وأصبحت تنتج عن المصاهرة والزواج الخارجي، وبالتالي اتساع رقعة الزواج المصاهرة الذي يؤدي إلى اتساع نظام القرابة الذي يعمل على تعيين وتحديد حقوق الأفراد وواجباتهم.

6- القرابة والسياسة والاقتصاد: ا- القرابة والسياسة

تحتل القرابة مكانا مركزيا في دراسات الأنثروبولوجيا السياسية، حيث تعرضت العديد من الدراسات التقليدية لمواضيع المجتمعات التي تنتظم حول القرابة ومختلف مؤسساتها التي تقوم على أساسها وتجعلها مصدرا لكل السلطات بما فيها السلطة السياسية، وفي هذه المجتمعات يترك مفهوم الوطن والدولة مكانة لمفهوم النسب، ويكون الفرد مدين لقبيلته التي هي حصيلة النسب أو الأنساب، وفيها تعلوا العلاقات القرابية فوق كل علاقة، "إن الارتقاء إلى مراكز القرار يشترط في المترشح أن يكون منتمي إلى قرابة قوية بملكيتها وأفرادها وتحالفاتها وولاءاتها بها تكون القرابة ذات دور في تحديد وتعيين الحكام، إذ يساهمون بحملات ووضع إشاعات لنجاحه والوصول إلى الحكم"⁽¹⁾.

كما نجد أن القرابة لها دور في إبقاء مناصب الحكم متداولة وعبر أجيال داخل الجماعات القرابية، وهذا عند المجتمعات التي تعرف نظام حكم ملكي أي أن الحكم والسلطة فيها يبقم تداول داخل عائلة ذات مكانة عظمى بذلك المجتمع، ومنه يبقى عامل القرابة سلطة الحكم داخل وحدتها التي تتسم بالتضامن والتماسك بين أفرادها، حيث تستخدم بعض النظم السياسية الحاكمة روابطها القرابية في تثبيت دعائم حكمها⁽²⁾.

وكذلك الدور الفعال الذي يخدم به الزواج والذي يعد كتوسيع لنطاق القرابة⁽³⁾، وهذا يربط الزوج بأقارب زوجته والعكس، وبالتالي تربط مجموعة كبيرة من أفراد الأسرتين مع بعضهما في ظل تنوع الجماعات القرابية كالأسرة النووية والأسرة الممتدة والبدنة والعشيرة والقبيلة...

إن التركيب السياسي والبنية القبلية يتكون ويتنوع بتنوع التحامها وتجزئتها في الأوقات والمناسبات المختلفة التي تجرى في حياة القبيلة، وترتبط الزعامة السياسية بالقرابة، والأدوار والمراكز الزعامية والقيادية كثيرا ما تشغل من السلف إلى الخلف عن طريق الخط القرابي. وعموما تعمل القرابة كبنية سياسية تؤسس مجموعات انقسامية يرتبط فيها الكلي فيشكل وثيق بتداخل الأجزاء فيما بينها والدليل على ذلك مناخ الديمقراطية والمساواة النسبية التي تميز الجمعيات السياسية القائمة على القرابة مثل جمعيات الأنساب ومجالس الشيوخ الممثلين لعائلات القرية والعشيرة. فالزعيم في هذه الحالات لا يصنع القرار اتجاه فرد معين للعقاب

أو الضغط إلا بالرجوع إلى إجماع المجموعة بالإصغاء والسعي لكبار الجماعة وكسبهم وتقديرهم، وبهذا تأخذ القرابة على عاتقها تنظيم القيم والتصورات والمصالح التي تجرى باسمها على الدوام وعملية إعادة توزيع الثروات والألقاب والسلطة داخل المجموعة.

1- الخولي سناء، الأسرة والحياة العائلية، دار النهضة العربية، بيروت، 1977، ص ص 75-76.

2- معن خليل عمر، مرجع سابق، ص 160.

3- Rivière (C), *Introduction à l'anthropologie*, Hachette, 2^{ème} Ed, Paris, 1999, p 100.

والقبيلة والعشيرة لا تزالان تلعبان دورا مهما في المجتمعات العربية في الحرص على حفظ الأنساب، وبرزت الأهمية العشائرية حتى في الانتخابات البرلمانية، ويظهر هذا بجلاء في الجزائر خاصة في الحملات الانتخابية المحلية، حيث يتوقف نجاح المرشح (رئيس البلدية) مثلا أو العضوية في البرلمان بشكل كبير من عشيرته في مقابل أن يخدمها فيما بعد. "والانتماء القبلي هو من بين أكثر الانتماءات التقليدية رسوخا وتأثيرا في مجمل الحياة العربية، والقبيلة لا تزال هي أهم ركائز الحكم في الجزيرة العربية والخليج، حتى أنه توجد عائلات حاكمة بالمعنى الذي يقال أن هناك طبقات حاكمة في المجتمعات المتقدمة"⁽¹⁾، الأمر الذي يعزز القرابة سواء دعمت الأنماط القرابية الحاكم أو عارضته لأنه في كلتا الحالتين تتماسك الروابط القرابية داخل الجماعات القرابية الداعمة أو المعارضة، بهذا تعد القرابة من أهم العوامل المتحكمة والمؤثرة على بعض الأنظمة السياسية بالمجتمع.

1- بركات حلیم، المجتمع العربي في القرن العشرين، بحث في تغير الأحوال والعلاقات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2000، ص 353.

ب- القرابة والاقتصاد:

إن الوظيفة الاقتصادية للقرابة نستشفها في كون البناء القرابي يعد من أهم المؤسسات الاجتماعية التي تكون وحدة اقتصادية متكاملة، تلعب دور فعال في رسم معالم الجوهر الداخلي للمجتمع وتحديد طبيعته المادية، والقرابة تتفاعل مع بقية المؤسسات البنائية بالمجتمع، حيث تؤثر وتتأثر بها "العائلة تعد حجر الزاوية لتنشئة الفرد وأساس أخلاقه ومقاييسه وقيمه وخبراته بل وحتى تدريبه، ومنه فهي أساس مؤهلاته العلمية والمهنية، وبهذا تصبح العائلة وحدة قرابية تساهم في تحديد وقياس درجة تقدم المجتمع ورقية الاقتصادي كوحدة جزئية مهمة داخل البناء الاجتماعي" (1).

كما يساهم البناء القرابي في تدعيم المستوى الاقتصادي لأفراد وحداتها، من خلال المشاركات الجماعية في مهن وحرف معينة تجارية كانت أو فلاحية وصناعية تعود بالمنفعة المشتركة بينهم، كما تساهم من خلال مساعدة أحد أفراد الجماعة القرابية باقتراضه أموال للقيام بمشروع معين أو للدراسة في بعثات إلى خارج وطنه، حيث يعود هذا الدعم بالمنفعة، ويزيد في قوة الوحدات القرابية اقتصاديا واجتماعيا بالمجتمع سواء التقليدي منه أو الحديث، حيث أن هذا الأخير ما زال محافظ ويشهد هذه الإمكانية للبناء القرابي وأهم وظائفه في مختلف الميادين لاسيما الاقتصادي منه، هذا "لأن النمو التكنولوجي يسمح ويساهم بالتبادل القرابي عبر مساحات كبيرة" (2). وبذلك فإن "حرص بعض الأفراد والوحدات القرابية على إبقاء واستمرارية روابطهم القرابية يعود إلى تحقيق بعض أهدافهم الاقتصادية وبعض المكاسب والمواقع السياسية بالمجتمع" (3).

إن التكافل الاقتصادي شرط ضروري الحصول الوحدة ضمن العائلة وتساند أعضائها، وذلك جعل الإسلام من نفقة الرجل على زوجته شرط من شروط إتمام الزواج، بليترتب عليه جزاءات في حالة عدم الالتزام به أثناء الحياة الزوجية، ونفس الشيء على أولادهم كما نجد الدعم المادي بين الجد وأحفاده بإنجاز مشروع وتوظيف من خلال علاقات قرابية أو معارف أخرى خاصة من أفراد العشيرة أو القبيلة، وبهذا تصبح العلاقة بين أفراد الوحدات القرابية ك رأس مال اجتماعي والتي تندرج في شبكة علاقات قرابية وهي تعد مصدرا بشريا يمتلكها الفرد وتفيده في تحقيق الغايات الفردية من جهة، والجماعية القرابية من جهة أخرى. "رأس المال الاجتماعي يسمح بإنتاج منفعة جماعية تعود على كافة أعضاء الزمرة ذات المصالح المشتركة، سواء أشاركوها أو لم يشاركوها في إنتاج هذه المنفعة، كما أن الشبكة من الأفراد في جمعية ما تسمح لها بتأمين مكان تمارس فيه أنشطتها" (4).

1- إحسان محمد الحسن، مدخل إلى علم الاجتماع، مرجع سابق، ص 68.

2- الخولي سناء، مرجع سابق، صص 75-76.

3- الحسيني السيد، المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري، دار المعارف، ط3، القاهرة، 1985، ص 74.

4- كابان فيليب وجان فرانسوا دورتيه، علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية، أعلام وتواريخ وتيارات، تر، إلياس حسن، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2018، ص 223.

وبهذا تقوم العلاقات الأسرية على التعاون والتضحية والالتزام الشامل الغير المحدود وغير المشروط، من دون أي تحفظ، وهذا يعزز أساس أفراد الأسرة الراسخ بالاطمئنان والاستقرار النفسي، وهذا بضمان عدم الاحتياج المادي للغير من خلال العلاقات القرابية داخل العائلة وكذلك الجماعات القرابية كلها.

كما أن التنظيم الاقتصادي يميل إلى تقوية الارتباطات داخل المجتمع العائلي بالرغم من أن القانون الإسلامي يسمح بتقسيم الميراث ويؤكد عليه، فإن رئيس العائلة الجد الأول يكون مبدأ الانقسام للتراث الفلاحي وهو مبدأ لا يناقش تقريبا حسب رأي بوتفوشة. ففي المجتمع الجزائري الأراضي والحقول التي تعود لعائلة كبرى لم تكن أبدا لتقسم بين مختلفالذين لهم الحق في الوراثة عند موت البطريق، ولكن وارثا واحدا كان يعين ضمنا من طرف البطريق قبل موته، وهذا الوارث يصبح السلطة الوحيدة التي لا تناقش لأن مبدأ الانقسام ضمن البقاء الذي تضمنه الجماعة بكاملها لأعضائها في شيء من مبدأ العدالة الاجتماعية⁽¹⁾.

إن الخاصية الأساسية في المجتمعات التقليدية التي تعتمد الانقسام في التراث لها خاصية أساسية هي أنها لا تميل إلى الاستهلاك ولكن تميل إلى الادخار أكثر كوسيلة للبقاء أو العيش، أي الاستهلاك الضئيل باستثناء المناسبات الكبرى، والادخار لا يعني بخل لأن العائلة في المجتمعات التقليدية تنسم بسمة الكرم والضيافة.

"إن انقسام التراث الاقتصادي والاحتياط لوسائل البقاء على المدى البعيد بواسطة التقشف والاحتياط الاقتصادي، أي العولمة على مستوى الفرقة (العشيرة) في الأوراسوالمطمورة تحت التربة في منطقة القبائل"⁽²⁾، والتي تعد أشكال وتقاليد اقتصادية تضمننا التضامن والبقاء بين وحدات الجماعات القرابية وخاصة بين أفراد العائلة والعشيرة، وهذه الأشكال من التنظيم الاقتصادي يتواجد بأساليب مختلفة عبر مختلف أنحاء البلاد باختلاف تقاليدهم.

تعتبر الحيازة القبلية للأرض أو الوطن القبلي من أهم مقومات ومظاهر الوحدة والتماسك القبلي، ومن أبرز مظاهر التضامن بالمجتمعات القبلية للدفاع عن الموارد الاقتصادية ضد أي اعتداء تتعرض له، ويقسم العمل بين أعضاء هذه الوحدة القرابية بمعنى أنه توجد علاقة وظيفية بين الأوضاع الإيكولوجية والاقتصادية من جهة، والبنية القرابية من جهة أخرى⁽³⁾.

1- بوتفوشة مصطفى، العائلة الجزائرية، التطور والخصائص الحديثة، تر، دمري أحمد، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1984، ص ص 47-48.

2- نفس المرجع، ص 49.

3- محجوب محمد عبده، أنثروبولوجيا الزواج والأسرة والقرابة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2011، ص 219.

7- مفهوم القبيلة وعلاقته بالقرابة في الثقافة الجزائرية:

1- مفهوم القبيلة:

هي نسق في التنظيم الاجتماعي يتضمن عدّة جماعات محلية، مثل القرى و..... والعشائر، وتقطن عادة إقليما معيناً ويكتنفها شعور قوي بالتضامن والوحدة ويستند إلى مجموعة من العواطف الأولية.

هي كذلك تجمع كبير أو صغير من الناس يستغلون إقليما معيناً ويتحدثون اللغة نفسها وتجمعهم علاقات اجتماعية خاصة متجانسة ثقافيا.

كما أنها وحدة متماسكة اجتماعيا ترتبط إقليميا، وتعتبر في نظر أعضائها ذات استقلالية سياسية¹.

أما تعريف معجم علم الاجتماع فإنه يفرق بين القبيلة والاثنية وينفي البعد القرابي، فهو يعتمد نموذج القبيلة الإفريقية أساسا لوضع تحديد لمفهوم² القرابي، وتنقسم القبيلة في داخلها إلى نوع من الانشطار، ويعني نظام التشريح القبلي، تشريح القبيلة إلى جماعتين متكاملتين وكان استعماله الأول يعني النظام القرابي الثنائي (أي جميع أقارب الأب وأقارب الأم)، وقد استعملته الكتابات الفرنسية كثرة خصوصا دوركايم وموس في محاولتهما تصنيف المجتمعات البدائية، كما استعمله العالم الاجتماعي الإنجليزي "راد كليف براون" في دراسته لقبائل أستراليا الغربية بالإضافة إلى العالم الأمريكي "عيفورد" 1916، إلا أن أهم دراسة تناولت التشريح القبلي دراسة "ليني ستروس" التي نشر نتائجها في كتابه الأنثروبولوجية التركيبية³.

ويعرف "بيشلر-Beachler" القبيلة بأنها شكل انقسامي للتنظيم الاجتماعي يتكون من أقسام قاعدية، يمثل كل منها أسر ممتدة في عمر ثلاثة أو أربعة أجيال، وكل قسم قاعدي يلتحم تلقائيا مع قسم آخر كلما شعر بتهديد أو خطر، وشيئا فشيئا يمكن أن تتحد القبيلة بأسرها، أو مجموعة قبائل في مجموعة مؤقتة لمواجهة عدو خارجي.

هكذا تقوم القبيلة على مبدأ المواجهة أو الاحتكاك في كل مستوى من الوحدات التي تتميز بالتساوي تقريبا، وهذا ما يؤدي إلى إقامة توازن عام يؤدي إلى نوع من الحماية⁴.

القبيلة عند ابن خلدون لا تتحدد بكونها جماعة متفرقة عن جداول كما لا تتحدد فقط بما يجمع بين أعضائها من روابط الدم، كما حدد ذلك الأنثروبولوجيون الكلاسيكيون، أن النسب

¹ - محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعارف الجامعية، مصر، 1990، ص 93.

² - دينكين ميشال، معجم علم الاجتماع، ترجمة ومراجعة إحسان محمد الحسن، ط.1، دار الطليعة، بيروت، 1987، ص 248.

³ - نفس المرجع، ص 146.

⁴ - محمد نجيب بوطالب، سوسولوجيا القبيلة في المغرب العربي، ط.1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2002، ص 55.

في معناه الضيق لا يعدوا أن يكون محظي وهمي لا يصمد أمام واقع الاختلاط وعلاقات الجوار والتعايش في المكان. الإطار الحقيقي عند ابن خلدون هو النسب في معناه الواسع والرمزي¹، وما يمثله من أشكال التحالف والولاء والانتماء. فهو يؤكد دور المكان أي الأرض، الذي يشكل محور التحام الجماعة ومما يركي الإحساس بالانصهار ضمن جماعة قبلية ويعزز تلاحمها الداخلي، الخطر الخارجي الذي قد يهدد استمرار وجودها، سواء كان ناجما عن عصبية زاحفة أو عن تدخل سلطة مركزية.

2- القبيلة والاثنية:

لعل التطورات التي عرفتها المجتمعات ذات الرصيد التاريخي المطبوع بالقبلية هي التي أدت إلى ظهور تحولات في هويات الكيانات الاجتماعية، وأدت إلى تغير في تشكل الهويات الاجتماعية في تلك المجتمعات، وهذا بدوره قد يؤدي إلى أزمة مفاهيم²، زاد من تعميقها إحلال المفاهيم الوافدة وانتشار المقاربات غير المتكافئة.

يقول الأنثروبولوجي الإفريقي "إليوتسكينر" من فولتا العليا: من الحزين جدا أن يكون لفظ (القبيلة) يجمع خلفياته البدائية والتقليدية هو الاسم الذي نطلقه على الهوية التي نستعملها في إفريقيا المعاصرة للحديث عن الجماعات المتنافسة على الجاه والسلطة. إن البعض من هذه التسميات المستعملة للدلالة على عدة مجموعات، يعود إلى وحدات سوسيوثقافية مختلفة من الماضي، غير أن معظم ما يطلق عليه اسم (جماعات قبلية) كان من صنع الحقبة الاستعمارية، وحتى تلك التسمية التي يمكن أن تدعي أنها عبارة عن استمرار للماضي، فقدت جملة من خصائصها التقليدية إلى درجة يمكن اعتبارها وحدات جديدة، يمثل هذا الرأي نموذجا للآراء التي تعتبر أن مفهوم القبيلة استعماري مشحون بمعنى موضوعية وتقليدية، ولذلك فهو بنظرهم لا يلاءم التعبير واقع الجماعات المعاصرة التي فقدت تقليديتها³.

يفيد مصطلح "اثنية" في الاستعمال العلمي السائد، مجموعة ثقافية وإقليمية لها حجم معين. أما مصطلح قبيلة فهو يدلّ على المجموعات المتميزة، بالضعف وصغر الحجم. ولا شك أن الظاهرة الاثنية تؤثر في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية، فالتبادل الأممي الذي يفرض واجبات جديدة ومتبادلة بين المجموعات المتحالفة أدى إلى استمرار التضامن القرابي. كما أن الانتخابات في بعض الدول التي عرفت بوجود كثيف للاثنيات، تجعل الفاعلين السياسيين لا يلتزمون بالمحتوى السياسي لبرامج الأحزاب، بل بمكانة زعماء تلك الاثنيات داخل المجموعات في إطار خطوط نسب ومصالح التبادل القرابي⁴.

3- أهمية القرابة:

¹ - أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المقدمة، دار الكتاب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص 130.

² - محمد نجيب بوطالب، مرجع سبق ذكره، ص 58.

³ - نفس المرجع، ص 59.

⁴ نفس المرجع، ص 60.

إن العلاقة الوظيفية بين القرابة والفرد والقرابة والأسرة وكذلك علاقتها بالمجتمع، تمكننا من استخلاص الأهمية البالغة للقرابة بالنسبة لهذه الثلاثية: الفرد والعائلة والمجتمع والتينلمس من خلالها وجود نوع من التفاعل المتبادل بين القرابة في الأسرة والقرابة في المجتمع، ويعد هذا الاهتمام للبعد القرابي لمدى فعاليته في المجتمع.

وتكمن القيمة الحقيقية للأقارب في مقدرتهم على أن يكونوا مصادر مكملة للأسرة النواة المنعزلة، لكون هذه الأخيرة تنتمي بيولوجيا واجتماعيا إلى هذه الجماعة الأولية المتسمة بالوحدة والتماسك، والتي يلتصق الفرد من خلالها إشباع مختلف حاجاته، كما يكسبه هذا الانتماء أيضا الاحترام والقبول والمكانة الاجتماعية، لكون مسألة الانتماء إلى نسب معين يلعب دور فعال في إعطاء قيمة اجتماعية للفرد داخل المجتمع، ومنه تصبح القرابة بمختلف علاقاتها وانتماءاتها من أهم المواضيع الحساسة في واقعنا وفي الكثير من المجتمعات ولا سيما المجتمع العربي الذي يعني النسب فيه "الانتماء إلى جماعة اجتماعية يستخدمها العربي المنتسب إليها كجماعة مرجعية للتماثل والتطابق في تفكيره أو تصرفه الاجتماعي مع فكر ومعتقدات أعضاء الجماعة التي تنطوي تحت نسبه، ويمثل النسب أيضا مسارا يربط الفرد بأحد مكونات المجتمع، والانتماء الاجتماعي والخلفية التاريخية لهذا المسار يحددان مكانة الفرد ووحده داخل المجتمع⁽¹⁾.

ويهتم كل رجل وامرأة اهتماما بالغاً بمسألة وشؤون العائلة التي ينتمون إليها، وهذا الاهتمام يتجسد في نوعية العلاقات الغير رسمية والتماسكة التي تربطهم ببقية أعضاء العائلة والجماعات القرابية، وطبيعة هذه العلاقات تجعله يشعر بالارتياح والطمأنينة، وبحمائيته من العزلة الاجتماعية والأخطار الخارجية التي قد تهدد كيانه ومستقبله⁽²⁾.

فالفرد دائما يرى في أهله وأقاربه امتدادا لنفسه، ومنها تعد القرابة وسيلة للاندماج في جماعة الأهل والأقارب، فبدون روابط دموية أو مصاهرة يصعب على الفرد الدخول في علاقة مع العائلة، فقد يندمج الفرد كصديق، أو مع جار ولكن اندماجه لا يكون بنفس درجة القرب، وبذلك تكتسب العلاقات القرابية أهمية كبيرة ابتداء من العلاقة بين أعضاء الأسرة الواحدة لتمتد إلى غاية كل فروع شجرة العائلة وبدرجات قرابية متفاوتة، حيث تفيد القرابة في تعريف هوية الفرد داخل وحدته القرابية ومكانته داخلها، أي تعريف الفرد بأصوله وفروعه، وكذلك أهم المبادئ والقيم التي يُعرف بها تبعاً لوحده القرابية ومكانتها، لذلك تقول "مارتن سيقلان" "هكذا تؤدي القرابة دور بطاقة الهوية وتعريف في العلاقة مع الآخر، وأعطت لنا مثل عن شاب جاء بزيارة عمته وهو لا يعرفها، ولكن بوصوله إلى المكان إقامتها وبتقديم نفسها على أنه ابن أخيها، فإن العمّة سمحت له بالدخول والمبيت عندها"⁽³⁾.

1- معن خليل عمر، علم الاجتماع الأسرة، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1994، ص 55.

2- إحسان محمد الحسن، مدخل إلى علم الاجتماع، دار الطليعة للنشر، بيروت، 1988، ص 125.

3- Segalen (M), Sociologie de la famille Armand colin 1981, p 86.

وهنا تكمن الأهمية البالغة للقرابة وعلى جميع الأصعدة السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية في المجتمع، وتحظى القرابة بهذه الأهمية وتصبح معترف بها في كل المجتمعات نظراً لما تؤديه من أدوار ووظائف مختلفة تعود على الجماعات القرابية خاصة والمجتمع عامة

يتفق العديد من المفكرين على أن القرابة تؤدي العديد من الوظائف الاجتماعية والنفسية والسياسية والاقتصادية التي تعمل على استقرار المجتمع البشري واستمراره، لأن البناء القرابي في طبيعته تميز بدوامه، ولهذا فإن أي بناء قرابي يمكن أن يقوم بوظيفته بصورة أفضل، إذا اشتمل على روابط طويلة المدى، مما يؤهلها أن تكون قاعدة أساسية ذات دور فعال على أفراد وحداتها وسط المجتمع.

4- علاقة القبيلة بالقرابة في الثقافة الجزائرية:

تتجلى وظيفة القرابة وأثرها على المستوى الاجتماعي بالنسبة للمجتمع أو الفرد، فيكونها تقوم بتحديد مواقع الأسر وارتباطاتهم بها، وإزاء هذا التحديد تمارس نفوذها وتأثيرها وتضع موانعها ومحرماتها وتطرح موافقتها ومسامحتها على أبنائها، فضلا عن وضع فروض أخلاقية وأدبية ومالية وواجبات تجاه أنساب القرابة الواحدة، وبذلك تمنح القرابة المكانة الاجتماعية للفرد وتعطيه اعتبارا داخل وحدته القرابية والمجتمع، كما تضمن له الاطمئنان النفسي والتكافل الاجتماعي والضمان الاقتصادي في تعاونه مع أفراد جماعته القرابية.

تمثل القرابة مؤسسة اجتماعية داخل الكيان الاجتماعي العربي، لأنها تربط العربي بنسبة وأقاربه لدرجة تصل إلى أنه لا يستطيع أن يتخذ قرار عائلي يخصه أو يخص أقاربه إلا باستشارتهم والأخذ بأرائهم، كما يساهم الفرد في المشاركة ومساعدة أقاربه في الأفرار والأقارح، وهذا ما يبين ممارسة القرابة ونفوذها وتأثيراتها العرقية على الفرد العربي، حيث إذا خلفها أو خرج عنها فإن مكانته الاجتماعية بينهم تقل وتفقد كامل الصلاحيات الخاصة، منها ما يتعلق باتخاذ القرار داخل ذلك البناء القرابي، وكما قد يحرم من مكاسب مالية أو مهنية أو حرفية، مما يعود على تدهور مكانته الاجتماعية⁽¹⁾. وكما تساهم القرابة في حلال العديد من النزاعات والدفاع عن أفرادها والقضاء عن المشاكل والأخطار التي تواجههم من خلال مختلف العلاقات والتفاعلات مع العالم الخارجي، كما تعد عوناً لأفرادها كمد المساعدة لكبار السن ورعايتهم أو إعانة المحتاجين منهم، وهذا التضامن في المجتمعات العربية يعود لتأثير البعد الديني، حيث أن تمسكهم بعلاقتهم القرابية والحرص على استمرارها هو تمسك بالدين الإسلامي وما يحدث عليه، ليصبح هذا النظام القرابي أداة ووسيلة للتضامن وإعانة المحتاجين من خلال الصداقات ودفع الزكاة وغيرها من صور التضامن الذي تشهده المجتمعات العربية الإسلامية.

إن الأسرة البسيطة النووية الناتجة عن انفجار الأسرة الممتدة أو المركبة كما رأينا لم تفرض نفسها اجتماعيا كشكل الأسرة الزوجية الغربية في وظائفها وذلك لأن إطارها المرجعي المعترف به إذا وجد أو المرجو إذا لم يوجد يبقى الأسرة الممتدة ومن ذلك المرجع تستمد منطقتها سندها ونسق قيمها فاستقلالها عن الأسرة الواسعة ما هو إلا استقلال مجالي فقط لأن الارتباط بها هو ارتباط وثيق وأكد لهذا السبب فإن الأسر البسيطة المنعزلة عن الأسرة الممتدة تبقى على علاقة أسرية مكثفة ومستمرة مع الأبوين وهذه العلاقة تكون مماثلة لعلاقات الماضي لكنها تختلف نسبيا من حيث تكثيفها كذلك علاقة الزوجة بوالديها وأخواتها فالإتصال يكون بالأسرتين معا فالتكافل يكون باتجاهين مما قد يحدث تناقضات واضطرابات

1- معن خليل عمر، مرجع سابق، صص. 163-164.

داخل الأسرة إذا لم يكن هناك توافق بين أسرة الزوج وأسرة الزوجة أو يكون تكثيف علاقات في اتجاه واحد مختلف مع ما عاهدته الثقافة التقليدية.

ويرى عدي في إطار القرابة انه نظرا للعلاقة القوية المحافظ عليها ما بين الأسرة الأصلية وأعضائها يصعب اعتبار الأزواج الذين يعيشون مع أطفالهم بصفة مستقلة أنهم يعيشون ضمن اسر نووية ويفسر ذلك بدقه حينما يرى بان(...) في حقيقة الأمر الأسرة الأبوية غير موجودة(...) في حين التصورات الثقافية الأبوية تبقى دائما حيه اعتبارا أن التكفل المحلي عند الاحتياج يظهر في القرابة سواء كانت قريبه أو بعيده(...). فمهما كان الفرد حرا فانه لا يعتبر مستقلا من التصورات الرمزية إزاء أسرته وإزاء قرابته الواسعة¹ فاستقلاله المجال لا تؤدي دائما إلى استقلاله من التصورات الرمزية التي رسختها قيم الثقافة التقليدية فالشعور بالواجب إزاء الإخوة والأخوات وإزاء القرابة عند الحاجة قيمة تقليدية بقيت ثابتة.

البيت الذي يعيش فيه الوالدين هو الذي يأوي الأسرة الأصلية ، ويربط ما بين الإخوة المتزوجين الذين يواصلون في المحافظة بينهم على علاقة تستمر على الأقل إلى حين وفاة الوالدين، وتستمر العلاقة ما بين باقي الأبناء والأحفاد، بواسطة الزيارات المنتظمة التي تقوي الرابطة ما بين أعضاء القرابة المتكونة عبر شبكة هذه الأخيرة، هي عبارة عن أسرة ممتدة، لا يتقاسم أعضاؤها نفس السكن. كما يمكن أن تستضيف الأسرة الأصلية عمه عاجزة، أو قريية (ابنة عم، ابنة عمه) أرملته أو مطلقة دون أطفال، أو قريبا يكون طالبا² ونشير إلى أن علاقة القرابة لا تقتصر فقط على الزيارات المكثفة، وإنما تقديم أو طلب المساعدة هو الذي تعززه الزيارات، كما أن التكفل والإيواء يعتبران من صلاحيات القرابة.

وأضاف عدي وظيفة أساسية ضمن المجتمع الحديث: تكون العلاقة الاجتماعية مجالا تستعمل القرابة فيه، لأهداف فردية ضمن عقلانية تفاعل المصالح³ وهذا يذكرنا بما ذكره مظهر عن اتخاذ الإجراءات الفردية نتيجة تأزم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، للحصول على متطلبات الحياة بما في ذلك من خدمات صحية واجتماعية واقتصادية، وكذا للحصول على ممتلكات، فالإجراءات الفردية تلجأ قبل كل شيء إلى شبكة القرابة، ومن جهة أخرى، قد تؤخذ إجراءات فردية بعيدة عنها، لكن الهدف فيها يكون من أجل التكفل بالقرابة ولمعرفة درجة القرابة التي تدخل ضمن الشبكة والتي تستفيد من الخدمات في المجتمع الحديث ترى حيدر بأن التضامن الأسري ينقلص، إنه لا يخص سوى الأقارب من الدرجة الأولى، فهو يظهر في شكل التعاون الذي يقدم خلال المناسبات المهمة (وفاة، زواج)، فالتضامن الأسري التقليدي الذي كان يجعل من الأسرة الممتدة تكفل الجميع، بشكل التعاون المكثف الذي يغطي جميع احتياجات الإخوة وأبناء العم والأحفاد تقلص تدريجيا فقد يكون متوفرا ضمن أسرة

¹SegalenMopc it, pp.15-16

²Ibid ,pp.54-55

³Ibid ,p 168

ومفقود ضمن أخرى، ليركز على الأقارب من الدرجة الأولى، بينما المناسبات السعيدة أو الحزينة، تبقى مجالاً لاسترجاع تكافل الأسرة الممتدة التقليدية ما بين الأقارب من الدرجة الثانية تعبر علاقات القرابة عن التناقضات الموجودة في الأسرة العصرية، فحتى إذا اتخذت الأسرة شكلاً نووياً عصبياً، فإنها في حقيقة الأمر تبقى خاضعة للأسرة الأم التقليدية، وهذا ما يذكر دائماً بنشأية الثقافة الجزائرية التي تخضع إليها جميع البنيات والأنساق الاجتماعية.

8- العائلة المفهوم والنشأة:

تتضمن هذه المطبوعة أهم الدراسات السوسولوجية التي تطرقت إلى موضوع الأسرة في مجتمعات مختلفة. فضلنا أن نرتبها ولغرض منهجي، حسب الخصائص السوسولوجية للمجتمعات وحسب التغيير الذي تعرضت له، فركزنا على بعض الخصائص الثقافية التي تتقاسمها المجتمعات فيما بينها، مثلاً تتقاسم المجتمعات الغربية مبدأ الفردانية واللائكية وتتقاسم المجتمعات الإسلامية خاصية العقيدة وأغلبها عربية أي تشترك في اللغة، ثم في الأخير ركزنا على أهم خصائص مجتمعنا.

نالت دراسات الأسرة في المجتمعات الغربية سواء الأمريكية منها أو الأوروبية قسطاً وافراً من الاهتمام اعتباراً بأن الأسرة مؤثرة ومتأثرة بتغيير المجتمعات، خاصة مع حدث الثورة الصناعية، بحيث تناولت نظريات سوسولوجية متعدّدة، جوانب مختلفة لبنية ووظائف الأسرة التقليدية والحديثة فاهتمت بأصل الأسرة، بنائها، علاقات القرابة، علاقات النسب، الزواج، علاقات الزوجين مع بعضهما، ومع الأطفال وبتنشئتهم، علاقات تواصل أو صراع الأجيال، تقسيم الوظائف ضمن الأسرة، تسيير ميزانية الأسرة، التنظيم الأسري والديمقراطي، تنظيم الوقت والتسليّة، أزمت الأسرة منها الطلاق، الميراث والقانون المتعلق بالأسرة، وضعية المرأة في الأسرة، القيم الأسرية... الخ.

معظم علماء الاجتماع المعاصرين، أمريكيون كانوا أم أوروبيون يعتمدون في تعريف الأسرة على الجانب التطوري لها، أي يتم التمييز بين الأسرة التقليدية والأسرة المعاصرة، وترتكز التعاريف على وظائف كل منهما، فبذلك اعتبرت الأسرة أهم ميدان لإبراز ميكانيزمات التغيير الاجتماعي.

يرادف كلمة أسرة بالفرنسية (Famille) وهي كلمات مشتقة من كلمة لاتينية كلاسيكية Familia (1337)، هذه الأخيرة اشتقت من Famulus بمعنى خادم، وتدل على مجموعة كل الذين يعيشون تحت سقف واحد¹.

¹ - Ansart Pierre, Akoun André, *Dictionnaire de sociologie*, Robert, le Seuil, Paris, 1998, p 217.

وحسب هذه الدلالة الأخيرة ترى "مارتين سيغالين Martine Ségalen" "...كل دفي العلاقات الاجتماعية التي كانت فيما مضى تجمع عدة آباء وجيران وأصدقاء تقتصر وترتكز فقط على البيت الزوجي وأقرب الأقارب"¹.

فيتبين لنا من هنا، أن التعريف اللغوي مرتبط بوضعية تقليدية أصبحت حاليا مندثرة. وأصبحت العاطفة التي ركزت عليها سيغالين تقتصر وترتكز فقط على البيت الزوجي، تعرّف الأسرة على أنها مجموعة تعيش ضمن بيت موحد وتقسّمها إلى:

- أسرة بسيطة وهي التي تمثل الأسرة الحديثة وأسرة ممتدة.

كما نرى أيضا أن في أوروبا وفي الولايات المتحدة حاليا معظم البيوت متكونة من الأب والأم والأطفال، وبذلك الأسرة تمثل تجمع مبني على القران والأطفال².

ويتفق "فرانسوا دي سنغلي François De Singly" في هذه الفكرة مع "سيغالين Ségalen"، فيرى بأن كلمة أسرة سنة 1835 كانت تطلق أحيانا على أقارب يعيشون معا، لكن عامة، كانت تختص الأب والأم والأطفال، وهي كذلك حاليا³.

لقد أعلن "أوغست كونت Auguste Comte" بأن دوام العلاقات الأسرية هي البديهية الأساسية لعلم الاجتماع الستاتيكا. إنه يعتبرها مؤسسة اجتماعية دائمة، فهي ارتباط الأفراد بعضهم ببعض، والحلقة الأولى من حلقات السلسلة الاجتماعية التي اعتمدها في الدخول النظري لدراسته⁴. أما "إميل دوركايم Durkheim"، فيرى بأنها تكوّن النوع البشري، إذ تعتبر أقدم وأبسط نوع ممكن، وقد نالت الأسرة ضمن دراساته حفا وافرا من حيث تغير بنيتها من أسرة ممتدة إلى أسرة زوجية وكذا كمنطلق لدراسة مؤسسة التربية⁵.

فمعظم علماء اجتماع القرن 19 يعتبرون الأسرة واسطة طبيعية تربط الفرد بمجتمعه، فهي امتدادا مباشرا للمجتمع.

وحسب الدراسات الأمريكية، يتم تصوّر الأسرة ضمن الإطار النظري على أنها وحدة متكونة من أشخاص يمارس بعضهم على البعض الآخر أفعالا، لكن الفعل يمارس حسب أدوار تحددها المعايير التي يبني الفرد عليها شخصيته، سواء من خلال رجوعه إلى مجموعات تمثل له المرجع أو من خلال تصوّره الخاص. ويدخل ضمن هذا الإطار دراسة سياق التحكم، التسلّط، الصراع، الاتصال ضمن الأسرة... الخيعتبر الاقتراب التفاعلي للأسرة ضمن محيطها الخارجي الذي بإمكانه أن يكون مصدر تأثيرات للتصرفات الفردية، ذا تأثير

¹- Ségalen Martine, **Sociologie de la famille**, Armand Colin, Paris, 1981, p 6.

²- Ibid.

³- De Singly François, **sociologie de la famille contemporaine**, Nathan, Paris, 1993, p 19.

⁴- CicchelliPugeault Catherine, CicchelliVicenzo, **Les théories sociologiques de la famille**, la Découverte, Paris, 1998, p 20.

⁵- De Singly François, Op.cit, p 16.

كبير على الدراسات الأمريكية، وقد يتمثل المحيط في السكن والمحيط النفسيولوجي، ومن رواد هذا التيار "رايت بيكر Baker" و"بوسارت Bossart"، وسنة 1926 طُوّر "إرنست بيرجس Ernest Burgess" في مدرسة شيكاغو، الاقتراب التفاعلي باعتبار الأسرة وحدة من الأشخاص يعتبرون في تفاعل بينهم، وقام بعدة دراسات باستعانة كل من "لوك Look" و"بول Paul" و"ولين Walin"¹.

وفي هذا الإطار يمكن تقسيم ظواهر التفاعل إلى عدة أقسام يمكن حصرها في ثلاث أنواع من المتغيرات:

1- المرتبطة بالوضع الاجتماعية والتفاعل في الأسرة، كالوضع الاجتماعية المهنية للزوجين، العامل الديمغرافي، سن الزواج، عمر الزواج، عدد الأطفال، دور الأسرة، السلطة، الاتصال، الاتفاق... الخ.

2- المرتبطة بدراسة الأسرة في وضعية الأزمات، كالبطالة والحرب والترمل وتغيير السكن.

3- المرتبطة بالتفاعل ما بين الزوجين فيما بينهما ومع أبنائهم.

وتعتبر دراسة الأدوار، القيم والمعايير من أثرى دراسات علم اجتماع الأسرة وفي الولايات المتحدة، ومعظم رواده يمزجون فكرة الدور مع مفهوم المعايير، النماذج والقيم الثقافية، فبالنسبة لـ "لينتون Linton"، مفهوم الدور مرتبط جدا ليس فقط بوضعية الفرد أو الجماعة، وإنما بالمعايير والنماذج الثقافية، وهذه وجهة نظر التفاعليون².

دراسة "بول هنري شامباردول Paul Henry Chombart de Lawe"³، بيّن من خلالها بأن دوافع التصرفات الاقتصادية للأسرة تساعد على فهم الظواهر الثقافية التي تميز الجماعات الواسعة أو الطبقات الاجتماعية.

طبعا الدراسات التفاعلية متعددة والكثير منها انصب على الأسرة الحديثة وعلى التغيرات التي طرأت على الأدوار، تأثيرا بالقيم الثقافية الجديدة في المجتمعات الأوروبية شديدة الانتشار.

وعكس التصور التفاعلي تعتبر آفاق البنيويين الوظيفيون في دراسة وظائف الأسرة ضمن النسق الاجتماعي العام، ووظائف وأدوار وضعيات الأسرة داخل المجموعة الأسرية. الوظيفيون يدرسون كذلك الأسرة من ناحية القيم والمعايير والنماذج والنسق، لكن بالتأكيد

¹- Wright, Baker, Bossart, Ernest Burgess, cites par Michel André, Michel André, **Sociologie de la famille**, La Haye-Mouton, Paris, 1970, pp.249-250.

²- Ibid, p 60.

³- Chombart de Lawe Paul-Henry, **La vie quotidienne des familles ouvrières**, recherches sur les comportements sociaux de consommation, CNRS, Paris, 1956.

على الوظيفة التي تؤديها ضمن النسق. والمواضيع المرتبطة بالأسرة بالنسبة لهم يمكن ترتيبها في ثلاث (3) مجموعات:

- 1- العلاقات الجنسية قبل الزواج، الخيانة، واللاشرعية.
- 2- الأدوار حسب الجنس ضمن الأسرة.
- 3- القيم والمعايير المرتبطة بالإنجاب.

وفي الإطار البنيوي تميّز "ليفي ستروس Lévi Strauss" في تحليل الأنساق التي تكوّننها العلاقات الاجتماعية ابتداء من الزواج الذي يعتبر في حدّ ذاته علاقة تبادل بين مجموعتين، وكذلك علاقات القرابة، فبالنسبة إليه الرموز وقواعد الزواج يعبران عن مؤسستين لوظيفة إنسانية واحدة هي الاتصال¹.

ولقد كان الأنثروبولوجيين أكثر المتأثرين بدور الأسرة والبناء الاجتماعي ووظائفه بدراسة المجتمعات البدائية. فقد اهتم كذلك "لويس مرغان Louis Morgan" و"ماك ليلاند Mc Lelland"، بنسق القرابة وعلاقته بالنظم الاجتماعية، حيث حاول "مرغان Morgan" أن يربط بين التغيرات في طريقة العيش بتغيرات معينة في نظام القرابة في شكل الأسرة².

أما التيار المؤسساتي فيعتبر الأسرة، مؤسسة تاريخية ويدرسها على أنها تتأثر بالوسط الثقافي وتدل على مؤشرات ثقافية. وفي إطار الاقتراب التطوري لدورة الأسرة فضمن الجماعة الأسرية يسعى كل فرد لإرضاء حاجته الحياتية، فهناك مراحل لتطور الأسرة أين يستجيب الآباء لاحتياجات الأبناء في مرحلة أولى، ثم في مرحلة لاحقة يظهر عدم توافق فادح بينهم³.

من هذا العرض نتبين لنا مجموعة من المدارس المختلفة منها السوسولوجية ومنها الأنثروبولوجية التي اهتمت بالأسرة، ومثلما ترى "أندري ميشال André Michel" أن إطار هذه النظريات، إطارا واسعا يشمل المشاكل الواسعة النطاق المرتبطة بالتغيير المؤسساتي لتركيباتها ووظائفها، وتوفرت على تحاليل واسعة إذا جمعت⁴.

9-لمحة تاريخية عن تطور بنية العائلة، بناؤها ووظيفتها:

¹ - Levi-Strauss Claude, *Les règles fondamentales de la parenté*, La Haye-Mouton, Paris, 1967, p 551.

² - أبو زيد أمد، *البناء الاجتماعي*، مدخل لدراسة الأنساق، الجزء الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1991، ص ص.276-277.

³ - Michel Andree, *La sociologie de la famille* Lahaye-Mouton paris pp.28-29.

⁴ - Ibid, pp.60-62.

قطعت الأسرة الإنسانية منذ فجر الحياة الاجتماعية إلى عصورنا الحديثة مراحل شاقة من التطور، وشهدت تغيرات شاملة مختلفة باختلاف الأزمنة وباختلاف الشعوب. وذلك في أمور كثيرة أهمها:

التطور في نطاقها وفي وظائفها وفي الدعائم التي تقوم عليها وسنعرض في هذا الفصل أبرز مظاهر هذا التطور.

لا يمكننا أن نقف بصورة تاريخية صحيحة على عدد أفراد الأسرة في فجر الإنسانية. ولكن الدراسة التحليلية للأشكال الاجتماعية أوقفنا على أن نظام المعاشر كان أقدم التشكيلات أو التجمعات البشرية. واختلفت هذه المعاشر في عدد أفرادها فقد تكون بضعة أفراد في بعض البيئات، وقد تبلغ المئات في البعض الآخر. ومهما يكن من أمر الحياة الاجتماعية داخل هذه المعاشر، فإن الترابطات شبه الأسرية التي تنطوي عليها ضيقة النطاق لاتعدو الرجل وبعض النساء وأطفالهم. وأثبتت بعض الدراسات أن أقواماً كثيرة عاشت في ظل المعاشر واستقرت زمناً طويلاً ومن هذه الأقوام قبائل البوشمان في إفريقيا وأقوام الفدا في الهند وسيلان وغيرها من الجماعات البدائية التي كانت تعيش على الصيد وقطف الثمار والزراعة البدائية. ومن الطبيعي أن تكون الأم في هذه الترابطات شبه الأسرية هي العنصر البارز، وهي المحور الذي تدور حوله القرابة أي أن الأطفال كانوا ينسبون إلى أمهاتهم وذلك نظراً لخروج الرجال في رحلات الصيد.

وإذا تركنا هذه المعاشر جانباً، وانتقلنا إلى المجتمعات التوتمية التي تعتبر في نظر معظم علماء الاجتماع من أقدم مظاهر الحياة البشرية، وهي الجماعات التي عاشت بصورة بدائية في وسط أستراليا وشرقها وفي أمريكا، نجد أن عدد أفراد الأسرة كان كبيراً جداً. ولم تكن هذه القرابة قائمة على صلات الدم والعصب ولكنها كانت قائمة على أساس انتماء جميع أفراد المعشر لتوتم واحد وانحدارهم من أصلابه كما يعتقدون. فقد نسبت هذه المجتمعات نفسها إلى بعض فصائل الحيوان والطيور والنباتات. ولذلك كانت تقدر هذه الفصائل وتتخذ حيالها إجراءات طقوسية بالغة الخطورة.

ولما كانت هذه المجتمعات تعتقد أن المبدأ التوتمي حال في أجسادهم وأنه سربقائهم ووجودهم الاجتماعي. فلا يمكن والحالة هذه أن يدنسوه أو يقربوه بسوء لأنه موضع التقديس والعبادة. ولما كانت الاتصالات الجنسية في نظرهم تنطوي على اختلاط الدماء وتدنيس المبادئ التوتمية المقدسة. لذلك حرمت هذه المجتمعات التزاوج بين رجالها ونسائها لأنهم ذو قربي ومرتبون بوحدة مقدسة. ومن ثم كان على الرجال أن يبحثوا عن زوجات لهم في عشائر خارجية التي تعبد تواتم مغايرة لتواتمهم. ومن هنا نشأ نظام الزواج من خارج العشيرة Exogamy.

وإذا انتقلنا إلى مرحلة أكثر تقدماً في تاريخ الإنسانية نجد أن نطاق الأسرة في المجتمعات القديمة أخذ يضيق عما كان عليه في المجتمعات التوتمية. فقد بطلاعتقاد الأفراد في انحذارهم من تواتم وبطل تقديسهم لها وأصبحوا يعتقدون فيانحذارهم من عصبيات وأجداد وأصول معروفة تاريخياً وكان رب الأسرة في هذهالمجتمعات هو الذي يحدد نطاقها ويعطي له المجتمع مطلق السلطة في ذلك. فكانمن سلطته أن يضيف إلى الأسرة من يشاء من الأفراد حتى لو لم يكونوا من أصلابعائلته. ويلفظ منها من يشاء حتى ولو كان من أصلابه فنطاق الأسرة كان خاضعاًلتصرفات كبير العائلة رهن مشيئته، وكان النطاق في واقع الأمر قائماً علمصطلحات تحددها المجتمعات مثل "القبول والادعاء والتبني والاعتراف"، فمتى قرررئيس الأسرة قبول فرد ما في نطاق أسرته، اكتسب هذه الصفة وأصبح مرتبطاًبدرجة لا تقل شأناً عن أي فرد آخر من أفراد الأسرة. ولذلك يعرف هذا الشكل "بالأسرة الأبوية الكبيرة". وكان هذا النظام سائداً في مجتمعات كثيرة أشهرها بلاداليونان والرومان في عصورها القديمة وكان هذا النظام سائداً عند عرب الجاهلية فقدكانت الأسرة تنظم جميع أفراد العشيرة وتعتبر شخصاً معنوياً واحداً.

ثم أخذ نطاق الأسرة يضيق شيئاً فشيئاً لاسيما عندما حاربت الشرائع نظامالقبول والادعاء ودعت إلى إلغاء الرق وفتحت منافذ العتق والتحرر، فلم يعد من حقالأسرة أن يدخل في نطاقها من يشاء، بل أصبح ذلك مقصور على نسائه وأولاده. وهذا هو نطاق "الأسرة الزوجية الحديثة" التي تعتبر أحدث أشكال النظام الأسري.

غير أننا نلاحظ أن الأسرة الريفية لاتزال تحتفظ ببقايا ورواسب النظام سالف الذكر (نظام الأسرة الأبوية)، إذ يدخل في نطاقها الزوج والزوجة والأولاد المباشرون الذكوروزوجاتهم إذا كانوا قد تزوجوا وأحفادهم ثم البنات. وقد يدخل في نطاقها كذلكأشقاء الزوج وزوجاتهم وأولادهم، وشقيقاته ما دمن لم يتزوجن وشقيقاته اللاتيتزملن، وغير هؤلاء من العصب وبني العمومة وذوي القربى ومثل هذه الأسرة تعرفباسم "الأسرة المركبة" لأنها في الواقع تنطوي على أسرة زواجية لاتكاد تحتوي إلاعلى الزوج والزوجة الأولاد المباشرين. ومن يتزوج منهم يخرج من نطاق الأسرةويكون أسرة زواجية خاصة ويندر أن تحتوي غير هؤلاء إلا في بعض الحالات حيثتفرض الظروف الاجتماعية على رب الأسرة أن يعول بعض ذوى قرباه.

معظم الأبحاث الاجتماعية تكاد تتفق في تقرير أن الأم كانت منذ فجر الحياةالاجتماعية محور القرابة وإليها ينسب الأولاد.

وقد سارت على هذا النظام معظم الترابطات الأسرية التي ينطوي عليها نظامالمعاشر وهو أقدم الأشكال الاجتماعية ظهوراً في الإنسانية الأولى. فقد كان الرجليعيش في كوخ زوجته وإليها ينسب الأطفال. ولذلك كانت سيطرة الرجل عليها وعلناًولاده ضعيفة.

أما محور القرابة في المجتمعات التوتمية فكان التوتم لأنه هو الرباط المقدسالذي يؤلف بين أفراد العشيرة ويجعل منهم وحدة روحية ووحدة اجتماعية. فالأفرادالذين ينتمون إلى توتم معين يعتقدون أنهم منحدرون من أصلابه، ولذلك فهم نوقربى ولا يقل الواحد منهم عن الآخر في درجة القرابة.

1- كانت بعض العشائر تسير على نظام إالحاق الأولاد بتواتم آبائهم فيعتبر التوتمالأبوي هو محور القرابة.

2- وكانت عشائر توتمية أخرى تسير على نظام إالحاق الأولاد بتواتم أمهاتهم فيعتبرالتوتم الأموي هو محور القرابة.

3- وكانت قلة من العشائر لا تلحق الأولاد بتوتم الأب ولابتوتم الأم، ولكنها تلحقهمبتوتم المنطقة التي تظن الأم أنها حملت بالجنين فيها.

وهذه الاتجاهات في تحديد محور القرابة تدلنا على أن القرابة قائمة على رموزومصطلحات يحددها المجتمع ويرسمها لأفراده بغض النظر عن صلات العصب والدمالتي تتمثل في الأب والأم.

وفي المجتمعات التاريخية القديمة تطور محور القرابة وأصبح مرتكزاً على مبدأالعصبية. فكان الأب هو محور القرابة وكانت المصطلحات الاجتماعية معززة لسلطةالأب، وقد سارت معظم القبائل القديمة في نظامها الأسري على هذه المبادئ.

هذا وقد حاول مفكرون كثيرون تفسير انتقال القرابة من أموية إلى أبوية فيضوء الاعتبار التالية:

1- تعلم الإنسان الزراعة واستقراره في الأرض وبقاء الرجل بجانب زوجته وأولاده.
2- التطور الديني من النظام التوتمي إلى عبادة الأرواح والأجداد ونسبة الأفراد إلعصبيات معروفة تاريخياً.

3- انتشار المعتقدات الخرافية التي تنسب النساء إلى الأرواح الشريرة، والتي أدت إلبانتشار ظاهرة "وآد البنات" في كثير من المجتمعات، ولذلك كانت تحل اللعنةعلى الزوجات اللاتي لا يلدن ذكوراً.

4- اتساع ظاهرة الحرب بين العشائر وظهور قوة الرجل والإبقاء على الذكور بجانبآبائهم في وقت الشدائد، ممّا أدى إلى إضعاف النظام الأموي والتقليل من شأنالمرأة واختصاصاتها في ظل المعاشر والترابطات العريقة في القدم.

أما في العصور الحديثة فنجد أن محور القرابة يرتكز على الأب والأم معامع أرجحية قرابة العصب على قرابة المصاهرة، ويظهر هذا التريج بصورةواضحة في البلاد الإسلامية ولاسيما في المسائل المتصلة بالميراث والنفقةوتحمل مسؤوليات الأسرة والحقوق والواجبات التي يتعين على الرجل الوفاء بهاباعتباره دعامة الأسرة وسيدها.

10- تطور وظائف الأسرة:

لاشك أن تحقيق ضروريات الحياة المادية كانت أول أهداف الترابطات والمعاشر الأولى فلم تكن الحياة الأسرية قد استقرت بعد ووضحت معالمها ولكنها كانت قلقة وغير مستقرة شأنها شأن جميع الأوضاع الاجتماعية في فجر الإنسانية. ولا تتعدوظيفتها جمع الأقوات الضرورية والقيام بمستلزمات الحياة، وصنع الأدوات البدائية التي يعتمدون عليها في الصيد وجمع الثمار والتي يتحلون بها في بعض المناسبات.

أما في المجتمعات التوتمية فكانت وظائف الأسرة أكثر وضوحاً وأقرب التحقيق الغايات من الاجتماع الإنساني. فكانت الأسرة وحدة اقتصادية تنتج ما تحتاج إليه العشيرة من مطالب. وكانت هيئة سياسية وإدارية وتشريعية، فهي التيتأمر وتدبر شؤون العشير بواسطة مجلس أسر أو رؤساء العشائر والبطون. وهي التي تحكم بين الأفراد وتفرض المنازعات بينهم وهي دعامة العرف والتقاليد والعادات وهي التي ترسم للأفراد قواعد السلوك وقوالب العمل فلا يحدون عنها. وهي التي ترسمخطط الدفاع والحرص على الحدود وتتكلم باسم الأفراد في المنازعات الخارجية. وكانت إلى جانب هذا كله هيئة دينية وتربوية فهي التي تشرف على الطقوس وتمنحالأولاد حق القبول في الجمعية الدينية وتشرف على تربية النشء وتعليمهم. وعلهذا النحو كانت الأسرة القديمة عبارة عن دويلة صغيرة تقوم بمختلف الوظائف التي يتطلبها النشاط العمراني.

ولكن عندما اتسع نطاق الحياة الاجتماعية وتفاعلت الأسر مع بعضها البعضنشأت المدن وبعد ذلك قامت الدول، وأخذت تسلب من الأسر هذه الوظائف واحدةبعد الأخرى. وأخذت تنشئ لكل وظيفة من الوظائف التي أشرنا إليها هيئة مستقلةتأخذ على عاتقها تحقيقها على الوجه الأكمل لصالح الأفراد بوصفهم عناصر فيالمجتمع بصرف النظر عن التنظيمات الأسرية. فانتزعت الدولة السلطة السياسية وأنشأت لها الهيئات الحكومية والمجالس النيابية وانتزعت منها الوظيفة الاقتصادية وأصبحت من اختصاص العمال والصناع والتجار وأرباب الصناعات والشركات، ولم يعد الفرد منتجاً لنفسه ولأسرته، ولكنه مجرد ترس حقير في دولاب الدولة الدائربانتظام. واختفى الإنتاج لغاية الاستهلاك وأصبح الإنتاج لغاية الاستبدال هو سمةالاقتصاد المعاصر. وانتزعت الوظيفة الدينية فأصبحت من اختصاص رجال الدينلاسيما عندما انتشرت الديانات المؤهلة العامة. وانتزعت منها وظيفة التربية والتعليم، وعلى هذا النحو أتى المجتمع على معظم الوظائف التي كانت الأسرة القديمة تقومبها.

ويشير التراث العلمي في الاجتماع العائلي إلى تلك الظاهرة باسم"تقلصوظائف الأسرة". وقد نجد من يخلط بين "تقلص الوظائف" و"تقلص الأسرة".

11- الاتجاهات النظرية في دراسة الأسرة:

تتكون الأسرة التقليدية كما تفضل تسميتها "سيغالين Ségalen" المجموعة الأسرية، من عدة أسر صغيرة تجمع بينهم علاقات النسب، وتلك الأسر تتكون من أبوين متقدمين في السن وأبنائهم المتزوجون زيادة على الأسر الصغيرة النووية. كما تأوي المجموعة أشخاصا ليست لهم علاقات نسب أو قرابة مع أفرادها كالخدم والأصحاب والمساعدين، وتمثل المجموعة وحدة متضامنة تتميز بأملالك لا تقسم على أفرادها، فتمثل إذن مجالا زراعيا موحدًا ومعينا¹. كانت الأسرة الأصلية في الجنوب الغربي لفرنسا تجمع في نفس البيت نحو ثلاثة أجيال، فالبيت كان هو المؤسسة التي تجمع بين المسكن والمزرعة وأراضي الجماعة. وحتى لا تضع هذه المؤسسة كان الابن البكر هو الذي يرث². كانت الجماعة الأسرية المتضامنة تعتبر مجال إنتاج واستهلاك في الوقت نفسه، وكانت تضمن عدّة وظائف كتقديم العون للمتقدمين في السن، رعاية المرضى، تقديم المأوى للمجانين، فكانت تحظى بالدفء الأسري عدة أسر إضافة إلى الجيران والأصدقاء.

ونوع الزواج المفضل لدى هذه الوحدة والذي يعزز ضمنها الاستقرار هو زواج الأقارب، إلى درجة ما من التقارب. من جهة أخرى كان هناك نوعا آخر من الزواج يتمثل في الزواج الخارجي بالتبادل، أي أن جماعتين أسريتين يتفقان على زواج الأبناء (أخوين بأختين) فيتم تبادل الأشخاص بينما الأملاك فتبقى³.

إنجاب الأطفال، كان هو الضمان لأيام الشيخوخة، لذلك فإن العلاقة بين الأحفاد والأجداد كان رمزا للتضامن ما بين الأجيال وتواصل القيم⁴. النسب الأبوي هو الذي كان يضمن إيصال الاسم، الأملاك، الحقوق، الواجبات الدينية، السياسية والاقتصادية، والامتيازات من الأب إلى الابن، حتى تعليم الحرف كان يتبع النسب الأبوي ويتوارث⁵.

كنتيجة لظروف اقتصادية، اجتماعية، ديموغرافية وثقافية مرتبطة أساسا بحدث التصنيع، ابتداء هذا النوع من الجماعات الأسرية المتضامن بالشكل المذكور يتلاشى، بل ويتخذ أشكالا أخرى، لا يمكننا الجزم بتحول هذا الشكل مباشرة إلى الشكل النووي البسيط وإنما خضع إلى تغييرات أخرى قبل ذلك، بحيث حينما كانت المدن الأوروبية في طور التحضر عزز ضمنها السكن الجماعي للأباء مع أبنائهم المتزوجين، فكان يظهر وكأن الشكل التقليدي للأسرة قد استمر، لكن ذلك كان راجع إلى قلة توافر السكن في المدن نتيجة نزوح الأفراد من الأرياف، بحثا عن العمل بالمصانع، فالإزام المرأة بالعمل، ومشاكل رعاية

¹- Ségalen Martine, Op.cit, p 15.

²- Ibid, p 5.

³- Ibid, p 5.

⁴- Michel André, Op.cit, p 45.

⁵- Ségalen Martine, Op.cit, p 62.

الأطفال في سنّ مبكرة كانت عوامل فرضت ذلك التعايش، فهو أكثر منه مفروضا على أن يكون مرغوبا فيه¹.

في المرحلة الصناعية ابتدأت الأسرة الممتدة المتضامنة في التقسيم، ويعتبر "ماركس Marx" و"أنجلز Engels"²، من أهم الذين درسوا تأثير تغيير البنية الاقتصادية مع ظهور الرأسمالية في أوروبا على البنية الأسرية، وركزا تحليلهما على الطبقة العاملة. إن تغيير طريقة الإنتاج الاقتصادي والتبادل في المجتمع من إنتاج تقليدي إلى إنتاج رأسمالي ابتداء من 1867، مثلما ذكرا، غير ذلك من طبيعة العلاقات الأسرية ووظائفها، فنظرا للظروف المادية الجديدة، انعدمت الحياة الأسرية لدى طبقة عمال المصانع، بسبب دوام انعدام الأمن في عملهم والنقص في توافر الغذاء الذي يؤثر سلبا على أفراد الأسرة، وذلك ناتج عن تلقي العمال لأجر ضئيل. فعندما يضعف جسديا الزوج المؤمن الأساسي للدخل الأسري، تسقط الأسرة في البؤس والانعزال. هذه الوضعية تحتم على المرأة العمل، فالرأسمالية أعادت صياغة تقسيم الوظائف والسلطة داخل الأسرة العاملة. هذا ما دفع "أنجلز" للتساؤل عن مصير الأطفال، فالظروف المادية لحياة العامل حطمت من أسس دور الأمومة، كما يؤدي أيضا ضعف الدخل الأسري، إلى عمل الأطفال الذي يكون له تأثيرا سلبيا على الأسرة. يؤدي عمل الطفل إلى الحصول على ربح يساعد به والديه، ويبقي جزءا لنفقاته الخاصة، بهذه الطريقة ينفرد الأطفال بحياتهم ويعتبرون بيتهم مجرد فندق، وقد يصل البعض منهم إلى ترك المنزل خاصة إذا كان الوالد عاطلا³. وفي هذه السيرورة المؤثرة على الطبقة العاملة لاحظ "ماركس" و"أنجلز" بأن العلاقات الأسرية لا تربط بين أفراد الأسرة نتيجة المحبة المتبادلة، وإنما تصبح المصلحة الشخصية هي التي تدعم الربط⁴.

وكذلك هو الشأن بالنسبة لـ "فريديريك لوبلاي Frédéric Le Play" الذي انصبت دراسته على نفس الطبقة وفي نفس الفترة، نظرا للاضطرابات البالغة التي تعرضت لها. تمثلت منهجيته في دراسة مونوغرافية للأسر العاملة، حيث وصف وسائل وطريقة عيشها، خاصة بالاعتماد على نشاطاتها وتسيير ميزانياتها ونفقاتها، فكانت تلك الأسر النووية عبارة عن مدخل خاصة لدراسة تركيبية المجتمع والعلاقات الطبقيّة⁵.

من جهة أخرى في المجتمع الأمريكي، أدت الثورة الصناعية إلى إحداث نفس التعديلات، لكن بما أن التركيبة الاجتماعية مختلفة عن مجتمعات أوروبا، كانت الأسرة الأمريكية ذات خصائص مختلفة، ذكرها لنا "أليكسيس دي توكفيل Alexis De

¹- Ibid, pp.61-62.

²- Engels Frédéric, *L'origine de la famille, de la propriété privée et de l'Etat*, Editions Sociales, Paris, 1983, pp.14-18.

³- Engels Frédéric, *Op.cit*, pp.14-18.

⁴- CicchelliPugeault Catherine, CicchelliVicenzo, *Les theories sociologiques de la famille* Decouvert par paris 1998 p 20.

⁵- Ibid, pp.34-35.

Tocqueville" فيرى بأن أسر جديدة تظهر دون انقطاع وتتغير أو تتغير في شكلها. في أمريكا، التمسك بأهمية الاسم الأبوي والانتماء إلى نسب ما قد تلاشى وضعف، فأهم ما يميز الأسر في أمريكا هو ضعف التواصل بين الأجيال، فالمجتمع الذي يحقق العدل في الميراث لا تظهر الأسرة ضمنه سوى كشيء عام، غير محدد¹. لكن رغم إعجابه بالنظام الديمقراطي، إلا وأنه يقدم انتقادا للأسرة الديمقراطية، فيرى أن ضمن النظام الاجتماعي الأرستقراطي، كان الأب مشرعا للقوانين وكان قاضيا، فالعلاقات الأسرية كانت خاضعة إلى سيرة أخلاقية حقيقية، وهذا ينطبق على الأمريكي المحب لتطبيق النظام في بيته، فذلك الخلق يحمله معه لتأدية شؤون الدولة. لكن للديمقراطية نقائصها، فبقدر ما تقرب ما بين الآباء، إنها تفرق بين المواطنين فيعزل الفرد شيئا فشيئا بنفسه، عندما ينسى أجداده وعشيرته وحتى أبناء جيله، فيقع في الأنانية عندما يعزل كل واحد عن الآخرين فيصبح مثل الغريب، يمثل له أطفاله وأصدقائه كل النوع البشري.

ابتداءً من القرن 17، انتقد الأخلاقيون والمربون حق النجل البكر في الامتيازات، اعتبارا بأن هذه الممارسات مخلة بالعدل²، فكانت تلك الخطوة من أهم الخطوات التي أفسحت الطريق أمام التغيير، في الحصول على حق الميراث الذي أعطى بدوره حق الانفصال عن الجماعة الأسرية.

تلت تلك الخطوة، أخرى أهم، والمتمثلة في تعميم التعليم وارتباط هذا الأخير بمناصب العمل، نظرا للأهمية القصوى التي يكتسبها، بحيث أصبحت الشهادات العليا تعطي الفرص للمناصب العليا، وأصبح الرصيد المدرسي مرتبط بالرصيد الثقافي، وقد ساد ذلك في المجتمع الحديث وأصبح من قيمه. فإذا كان حق الميراث قد يعطي الأملاك المادية لأحد الأبناء لدى بعض الأسر التقليدية، فإنه ضمن المجتمع الحديث الذي تغيرت قيمه، لا يمكن للآباء أن يحرّموا أحد أبنائهم من الرصيد الثقافي³.

¹- De Toqueville Alexis, **De la démocratie en Amérique**, Tome 2, ENAG, Alger, 1991, pp.257-258.

²- De Singly François, **La famille contemporaine**, Op.cit, p 20.

³- Sous la direction de De Singly François et Sylvie Mesure, **Comprendre le lien familial**, Revue de Philosophie et Sciences Sociales, PUF, N.2, Paris, 2001, p 23.

11- النظريات الحديثة في أنثروبولوجيا العائلة:

الأسرة الحديثة أصحت نوية بحيث يرى "دوركاييم Durkheim" بأن المجموعة الأسرية الأوروبية المعاصرة هي تلك المتمثلة في الأسرة الزوجية¹، وتجمع هذه الأخيرة في بيت واحد، فقط الأب، الأم، والأطفال غير المتزوجين. كما اعتبرها أيضا المجال الذي يفكر فيه الأفراد أكثر فأكثر في فردانهم، وأصبحت عضوا ثانويا للدولة التي تراقب تنظيم العلاقات وتقدم لها الدعم². وأهم خصائصها، هي وظيفة تشكيل شخصية الأفراد بالاهتمام والتركيز على شخصية الطفل، معظم علماء الاجتماع، يؤكدون على الدور العاطفي للأسرة وهذه الخاصية هي التي تميز الأسرة العصرية عن الأسرة التقليدية بإجماع منهم. فالأسرة العصرية أصبحت معتمدة على مؤسسات أخرى، ولم يبق لها سوى البناء الشخصي للطفل واستقرار شخصية الكبار مثلما يرى "بارسنز Parsons".

تعيش الأسرة الحديثة باستقلالية أفرادها عنها وفي الوقت نفسه في تبعية للدولة. تتمثل تبعيتها في الرقابة التي تسلطها هذه الأخيرة عليه من حيث القوانين التي تصدرها كتلك المتعلقة، بالحد من ضرب الأطفال والاهتمام بتربيتهم وحماية الأسرة من الفقر خاصة الأسر وحيدة العائل، ودعم إدخال دور التحليل النفسي في الحياة الأسرية، وكذا متابعة المؤسسات التربوية والتدخل للحد من السلطة الأبوية وتعويضها بسلطة الأطباء، الأخصائيين النفسانيين، المساعدين الاجتماعيين المكلفين بالصحة والوقاية، والوسطاء الأسريين³. أيضا، عندما أصبحت الأسرة تمثل إحدى المحاور الرئيسية في سياسات الدول، ابتداءً منذ سنة 1945 تتوالى النصوص القضائية والحكومية في فرنسا، وكذا الدراسات المتعلقة بالأسرة لتنظم شؤونها التي كانت في تحوّل مستمر. فظهرت سياسات حاولت بناء الأسر وإعادة بنائها وكانت ذات نتائج إيجابية، من أجل تكوين قيم التربية حسب ما يمليه التغيير، فالسياسات ركزت على الاقتصاد والتمويل المالي وتوفير السكن ووسائل التسلية⁴. في السنوات ما بين 1957 و1973 ابتدأت الأشكال الجديدة للأسر تظهر وظهرت العديد من الإصلاحات المرتبطة بها، والتي من شأنها التوفيق بين الأسرة والتفكير الجديد مثل تخفيض سن الرشد إلى 18 سنة، وتحرير أخذ وسائل منع الحمل أو تشريع الإجهاض⁵.

يعتبر الزواج في الأسرة الحديثة ضمن إيديولوجيا حق فردي، بحيث للفرد حق في اختيار شريك حياته، والمكان الذي يريد أن يسكن فيه، هذه الأيديولوجية حاملة لنوع من الديمقراطية والحرية. فيما يراه "ويليام جود William Good" فأصبح الزواج اختيارا بين

¹- Ibid.

²- Fize Michel, **La démocratie familiale, évolution des relations parents adolescents**, Chronique sociale de France, Lyon, 1960, p 290.

³- Ségalen Martine, Op.cit, p 165.

⁴- Fize Michel, **La démocratie familiale Evolution des relations parents adolescents chroniques sociale de France Lyon 1960 p 50.**

⁵- Ibid, p 147.

زوجين مبني أساسا على العاطفة، لأن الهدف من الزواج هو تحقيق الراحة والازدهار الفردي لأفراد المجموعة الصغيرة. لكن لدى الطبقة البرجوازية لا زال تسييرا للمصالح الخاصة يخضع الأبناء للزواج التقليدي المنظم، لكن لا يتم ذلك بطريقة تقليدية، بل عن طريق الإقناع. وكنتيجة لظروف متعددة من بينها تعليم المرأة وتكوينها وعملها فقد عرف السنّ الشرعي للزواج ارتفاعا كما عرف أيضا تأخرا ملحوظا بالنسبة للجنسين¹.

من خصائص الأسرة النووية في المجتمعات الصناعية أيضا، هو صغر حجمها، فحسب دراسة أنجزها "الآن جيرار Alain Gérard" و"لوي روسال Louis Rousset" في الستينيات، فإن تقدير العدد الحقيقي والنهائي للأطفال ضمن الأسرة يتمثل في ثلاث أطفال. منذ عشر سنوات تقلص عدد الأطفال ضمن الأسرة، بحيث تلك التي كان يبلغ عدد أطفالها الأربعة فأكثر، لم تعد موجودة بل عوضت بأسر لا يتعدى عدد أطفالها الاثنين². فالتخفيض من عدد الأطفال يؤدي للنجاح المدرسي، لأن المجتمع الصناعي هو مجتمع ذو تشكيلة دراسية، إذ الإستراتيجيات الأسرية لإعادة إنتاج نفس الطبقة أو التحسين من وضعيتها أصبح مرتبطا أكثر بالشهادات الدراسية، خاصة وأن كل الأوساط المهنية ترتبط بالمؤسسة التي تمنح الشهادات³.

أما من ناحية النسب فالشيء الذي يميز المجتمعات الصناعية، ليس عدم وجود النسب، لكن عدم توظيفه، فالمجموعات الاجتماعية لا توظف بالاعتماد الكبير على علاقات النسب والقربا بقدر ما توظف حسب انتمائها إلى فئة عمر، أو إلى طبقة اجتماعية معينة، أو تقارب علاقات الصداقة، أو العلاقات المهنية أو علاقات ضمن نشاطات التسلية معينة... الخ⁴.

عمل المرأة ودورها الأسري:

إنّ تدهور قيمة العمل المنزلي يعتبر عاملا حديثا في المجتمعات الصناعية، ذات التغيير السريع وتشارك النساء بصفة متزايدة في ارتفاع اليد العاملة لأن الضرورة الجديدة للمرأة كأم عاملة، تمثل النموذج الجديد ذا القيمة الاجتماعية⁵. تعميم عمل المرأة، أعطى لها سلطة في أسرتها خاصة النساء من الطبقة الاجتماعية ذات الدخل الضعيف، واللواتي لهن عددا قليلا من الأطفال⁶. لكن إذا كان الأطفال يشاركون الأمهات في الأعمال المنزلية فإن ذلك لا ينطبق كثيرا مع الأزواج، فمن هذه الناحية كان التغيير نسبيا، بحيث بيّن البحث الذي أنجزه المركز الوطني للبحث العلمي الفرنسي، سنة 1965، بأن فقط 44% من النساء العاملات

¹- Ségalen Martine, Op.cit, p 86.

²- Ibid, pp.164-165.

³- De Singly François, Op.cit, pp.26-32.

⁴- Ségalen Martine, Op.cit, p 86.

⁵- Ibid, p 190.

⁶- Fize Michel, Op.cit, p 215.

يتحصلن على إعانة أزواجهن في أشغال البيت، وقد بلغت نسبة اللواتي لا يعملن 19%¹.
فلاحظ أن الأدوار الاجتماعية مهما بلغها التغيير السريع إلا وأن نسبة هذا الأخير لا تكون
منطبقة في كل المجالات.

¹ - Ibid, p 114.

انفصال الأبناء عن الأسرة وعلاقات القرابة:

في الأسرة الحديثة يفصل الأبناء عن الأسرة حتما عند زواجهم، لكن هناك البعض من الأطفال من يغادر ابتداء من سن 18 خاصة إذا حصل على فرصة عمل، وقد يكثر ذلك الحدث في الأسر المنتمية إلى الطبقة العاملة، بحيث يؤدي عمل الوالدين وتمدرس الأطفال إلى استقلالية مبكرة للمراهقين، أضف إلى ذلك ضيق المسكن، وتأثير الشارع والاهتمام بالربح المتزايد¹. هذه الظاهرة بدأت مبكرا في الولايات المتحدة وكانت منتشرة جدا بحيث لاحظ "دو توكفيل De Tocqueville" أن الشباب حينما يصلون إلى سن الرشد المحدد شرعيا، ينفصلون عن المسكن الأسري، هذا الانفصال يعتبر مؤشر تحرر للطرفين².

عند زواج الأبناء، يرى "بارسنز Parsons" أن الأسرة الزوجية الحديثة، تعيش في بيت منعزل عن أسرة الزوج وأسرته الزوجية وتعتبر منعزلة عنهما اقتصاديا وفي الكثير من الأحيان تكون المسافة الجغرافية معتبرة بين الأسرتين³. لكن إذا كان الأبناء يفضلون العيش منفردين عن أسرهم فهذا لم يمنع من إبقاء علاقة القرابة فمعظم الدراسات بينت دوام علاقات القرابة بين الوالدين والأبناء، لكن تكوين شخصيتهم وفرضها يكون مستقلا عن تأثير العلاقات مع الولدين. قد تستمر العلاقات لأغراض نفعية تارة، كإبقاء الأطفال تحت رعاية الوالدين، بالنسبة للأمهات العاملات⁴.

علاقات القرابة تتكثف في مجتمعات وتقل في أخرى، فالمجتمعات التي يكثر فيها الحراك الاجتماعي مثل الولايات المتحدة الأمريكية، قد تكون القرابة ضمنها صعبة المنال، بينما تلك التي يقل ضمنها الحراك كالبعض من المجتمعات الأوروبية كفرنسا، تكثر فيها علاقات القرابة، ونلاحظ أن العلاقات المذكورة تربط بين الأبناء والآباء فقط، فلم تذكر أي دراسة قرابة الإخوة ومن جهة أخرى ذكرت الخاصية النفعية للعلاقة، وكأن الإلزامية الأخلاقية والعاطفية نحو الآباء قد تلاشت ضمن المجتمعات التي تطغى على علاقاتها المادة.

للظروف المادية تأثيرا على الشباب غير المتزوجين من حيث عدم مغادرتهم البيت الأسري، فحسب الأرقام المقدمة من طرف "فيز" لسنة 1985 في فرنسا 4/3 من الشباب العاطل لم يستقلوا عن الأسرة، إنهم يبلغون 60% في سن 25 سنة. القليل منهم يطردون بسبب عدم النشاط، لكنهم يتعرضون إلى ضغط من آبائهم إلى أن يجدوا عملا، هذا يدل على نقص الاستقلالية عن الأسرة عندما يجد الشباب أنفسهم في ظروف مادية عسيرة. وحتى الذين استقلوا، البعض منهم قد يرجع إذا ما تعرض إلى ظروف نفسية سلبية والبعض الآخر يفضل

¹ - Fize Michel, Op.cit, p 43.

² - De Tocqueville Alexis, Op.cit, p 55.

³ - De Singly François, Op.cit, p 50.

⁴ - Michel Andrée, Op.cit, p 95.

السكن في نفس العمارة التي يسكن فيها والديه¹. إن الظروف الصعبة تؤدي بالشباب غير المتزوجين للعودة إلى تقربهم من الوالدين.

المعاشرة:

أصبح الآباء يقبلون معاشرة الابن لصديقة له، أو معاشرة البنت لصديق لها، قبل الانفصال وبعد الانفصال عنهم، لأن تلك المعاشرة كثيرا ما تنتهي بزواج. حاليا في الدانمارك، السويد والنرويج منذ خمسة عشر عاما لوحظ تراجع الزواج وارتفاع عدد المطلقين، وكذا نسبة الخصوبة غير الشرعية، فالمعاشرة ترتفع ولم تعد تخص فقط فئة الشباب. لكن الحد بين الشرعي وغير الشرعي قد ضعف، ففي السويد 40% من الولادات تعتبر خارجة عن الإطار الشرعي أي الزواج، والأمهات العازبات هنّ اللواتي أصبحن يعلن عن ولادة أبنائهن في الجرائد. فمبدأ الزواج هو الذي أعيد النظر فيه².

التغيير في القيم أدى إلى ظاهرة المعاشرة والتي أدت بدورها إلى ارتفاع عدد الأمهات العازبات، إلى تراجع الزواج، وإلى الإنجاب خارج إطار الزواج. "بحيث تسجل كل عام حوالي 30000 حالة حمل لبنات لا يتجاوز سنهن 18 سنة و10000 حالة إجهاض. في سن 17 سنة يستعمل 15% من الفتيان و47% من الفتيات وسائل منع الحمل وفي سن 18 سنة تبقى النسبة نفسها لدى الأولاد، لكنها ترتفع لدى البنات لتصل إلى 72% حسب دراسة في فرنسا"³. هذه الظواهر المرتبطة بضياح معنى الارتباط، عززت من الاهتمام بركيزتين جديدتين في هذه المجتمعات للقرابة والنسب:

1- الدم: أصبح عبارة عن دليل جيني، تقدمه المحاكم للنسب البيولوجي.

2- السكن: صار هو الاهتمام الذي توليه الإدارات إلى المعاشرة للحصول على الحقوق

الاجتماعية⁴.

الطلاق، الانفصال، والأسر وحيدة العائل:

أصبح الطلاق مشاعا ومقبولا وتعتبر نسبة المطلقات العاملات مرتين أكثر من مجموع نسبة النساء المتزوجات⁵. ويؤكد اختصاصي الأطفال من جهتهم على انتشار وكبر حجم التشتت الأسري، وإعادة تكوين الأسرة، ضمن الأسرة الحديثة، فالطلاق والإنجاب خارج إطار الزواج والأسر.

12- الزواج والطلاق:

¹- Fize Michel, Op.cit, pp.244-245.

²- Ségalen Martine, Op.cit, p 139.

³- Fize Michel, Op.cit, p 237.

⁴- Weber Florence, GojardSevrine, Granen Agnès, Sous la direction de, **Charges de famille, dépendance et parenté dans la France contemporaine**, La Découverte, Paris, p 22.

⁵- Ségalen Martine, Op.cit, p 43.

1- الزواج:

تأثر الزواج بالتغيرات المذكورة، فظهرت أفكار تهتم بالمشاعر العاطفية في الزواج، وأصبحت الارتياح الزوجي قاعدة لنجاح الحياة الزوجية، ولم يعد الزواج في نظر الأجيال المتعلمة مقتصر على كونه وسيلة للإنجاب، بل أصبح التفاهم وتبادل المشاعر قيما لبناء الأسرة، لكن تبقى نسبة الذين يتمسكون بهذه الأفكار ضئيلة وما زالت مظاهر الزواج ضمن الأسرة هي الأساس لكن تطور أسلوب الاختيار المخالف لرغبة الأهل¹. إن التغيير لم يأت فجأة، إن ظهوره راجع لعوامل أهمها تعلم المرأة: "إن المرأة المتعلمة أو المثقفة يمكن أن ترفض الرجل الذي لا يتلاءم مع ميولها واتجاهاتها وتقييماتها، وإذا رفضته فلا يوجد من يؤثر فيها ويحملها في اختيار الرجل غير المرغوب فيه². أما في المناطق الريفية، فنجد أن الفتاة يحتم عليها أن تتزوج أولاً بمن يقبل به الأهل إلى حد كبير، وليست لها فرصة كبيرة في الاعتراض، فمساحة الرفض والقبول تحددها تقاليد المجتمع. أما بالنسبة للفتى، فقد تكون له مساحة كبيرة في الاختيار وفقاً لمكانة أسرته وتأخذ مساحة الاختيار في الاتساع، إذا كان الفتى مستقلاً اقتصادياً عن والديه، لكن مع انتشار التعليم أتيحت فرصة التعارف واختيار الشريك للشباب، لكن مازال الأهل يرفضون اختيار الشباب خوفاً من نقد الأقارب والجيران من أن يقال أنهم غير قادرين على ابنتهم³. إن دور الأم في قرار الزواج لأبنائها قد توسع، عوض قرار الأب، وهذا قد يكون نتيجة لتطور وضعية المرأة هذه الأخيرة أدخلت تعديلات على بنية القرابة التي أخذت الميل نحو خط أموي⁴.

أما تأخر سن الزواج فأرجعه "محمد أحمد غنيم" إلى العوامل التالية: في الأسر ذات المستوى العالي، يعتقد بكثرة بأن فرصة زواج البنت لها علاقة عكسية بالمستوى الاقتصادي للأسرة، فلا يتقدم لخطبتها إلا شاباً ينتمي لأسرة متجانسة مع أسرتها لذلك تصبح فرص الزواج للفتاة قليلة. كما أن الحصول على السكن المناسب يعد من الأسباب لعزوف الشباب عن الزواج، وبعض الأسر تشترط السكن المستقل عن سكن الوالدين. كذلك حب المغامرة يعد سبباً للتأخير لضعف الوعي الديني بأهمية الزواج والتأثر بالثقافات الواردة من المجتمعات الغربية.

كذلك تعالي الفتاة المتعلمة والمغالاة في المهر وتكاليف العرس وتجهيز السكن، كلها أسباب تجعل معظم الشباب يفضلون الانتظار لسنوات حتى يتمكنوا، لأنه طرأت على حياة الناس أنماط جديدة في مفاهيم الحاجات والكماليات فما كان بالأمس كمالياً أصبح ضرورياً اليوم⁵.

1- الخولي سناء، الأسرة والحياة العائلية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995، ص 17.

2- محمد الحسن إحسان، العائلة والقرابة والزواج، المرجع السابق، ص 83.

3- غنيم محمد أحمد، العادات والتقاليد في دولة مصر، المرجع السابق، ص 305.

4- BenhnamDjamchid, BouraouiSoukaina, **Coordinateurs (sous la direction), Familles musulmanes et modernité, le défi des traditions**, Publisud, Paris, 1986, p 50.

5- غنيم محمد أحمد، العادات والتقاليد في دولة مصر، المرجع السابق، ص 521.

إذا كانت هذه الدراسة الدقيقة تنطبق على المجتمع المصري على الأخص، فإن نتائجها يمكن تعميمها على باقي المجتمعات الإسلامية، لأن الدراسات التي أجريت في مجتمعات أخرى، توصلت إلى نتائج متشابهة، ففي المغرب مثلاً: "... يلاحظ أيضاً تأخر سنّ الزواج للجنسين وذلك بسبب المتطلبات الاقتصادية وارتفاع نسبة التعليم الجامعي، وكمثال عن ذلك بلغ معدل الزواج للنساء في المغرب 27.5% سنة 1993¹.

أما نسبة الارتفاع في باقي المجتمعات العربية بصفة عامة، فهي مسجلة بحيث "ارتفع سنّ الزواج للفتى إلى معدل 25 سنة، عام 2000 وأما سنّ الفتاة فتصل إلى 24 سنة"².

التغيرات في بناء الأسرة:

كان للتعليم كما سبق وأن أشرنا إليه من أهم الدوافع المؤدية إلى تغيير استراتيجيات بناء الأسرة: "... دور التربية والتعليم في توسيع معلومات الفرد وزيادة مداركته وقدراته على رسم المعالم الأساسية لأسرته دون تدخل الآخرين في ذلك وحالة كهذه لها أهمية في تغيير النظام الأسري من شكلي إلى شكل آخر"³. ولأن الأفراد اكتسبوا قدراً من المعلومات والقدرات على تحديد استراتيجيات الزواج أصبحت الأسرة النووية هي الهدف الاستراتيجي الذي يعتبرونه ضامناً للارتياح الزوجي. لذلك معظم دارسي الأسرة من علماء الاجتماع العرب، يرون أن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي تمر بها المجتمعات العربية قد ابتعدت بالأسرة عن شكلها التقليدي الممتد وأن ظروف الحياة العصرية قد أدت إلى سيادة النمط النووي بها في الحضر. تبقى الأسرة الممتدة لتمثل النمط السائد في البيئة الريفية والرعوية.

2- الطلاق:

لا زالت بعض المجتمعات تعاني من مآسي الطلاق الأحادي الذي يقرره الزوج، ومن انعكاساته على النساء والأطفال، وقد بلغ معدل فسخ الزواج الأول في المغرب 16% (1994) بينما في تونس فلم يتعد 6% وذلك مرتبطاً طبعاً بالقوانين التي تحمي حقوق المرأة وحقوق الرجل. حالياً في كثير من البلدان الإسلامية وفي المجالات العضوية نجد المرأة المطلقة التي تعيش وفق نمط معيشي معين صعوبة في الرجوع إلى العيش مع أهلها مثلما كان الأمر في السابق. في حين بقيت المحتاجات لا تقبل بسهولة نساء مطلقات يعشن بمفردهن بصفة كبيرة ومنتظمة⁴.

¹ - المريني الوهابي أمينة، "العلاقات الأسرية في أفق تعديل مدونة الأحوال الشخصية" في أزمة القيم ودور الأسرة في تطور المجتمع المعاصر، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الدورة الربيعية، الرباط، 2001، ص 264.

² - محمد الحسن إحسان، علم اجتماع العائلة، المرجع السابق، ص 267.

³ - نفس المرجع، ص 267.

⁴ - المريني الوهابي أمينة، "العلاقات الأسرية في أفق تعديل مدونة الأحوال الشخصية"، في أزمة القيم ودور الأسرة في تطور المجتمع المعاصر، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الدورة الربيعية، الرباط، 2001، ص 264.

مثلا طرأ التغيير على القرابة التي تراجعت لدى بعض الفئات نتيجة التغييرات الاقتصادية، فذلك الوضع بالنسبة للتكفل بالمطلقات من طرف الأهل، خاصة إن كان لديهن أطفال، لذلك أصبحت المرأة المطلقة تتكفل بنفسها وبأولادها وهذا ما يؤكد التغيير في النسق الاجتماعي التقليدي الذي تحول تأثيره إلى مراكز أخرى.

إن دخول الثقافة العصرية على الثقافة التقليدية لم يتم دون إحداث أزمات وتناقضات، لذلك كان الطلاق ناتجا عن كثير من التناقضات التي تعيشها الأسرة، ذكرت بن خليل¹ مثلا عنها، الأفراد الذين يقررون زواجهم بأنفسهم "... لا تقبل عادة الأسرة الواسعة التي تعيش وفق قيم تقليدية، هذا النوع من الزواج، وتبقى مستاءة له وتسبب شيئا فشيئا انحلاله، فالخلاف بين التناقضات والصراعات التي تواجهها الأسرة.

ذكر عدي سببا آخر، يعبر عن مدى الاستمرار القوي للثقافة التقليدية وفرضها على الثقافة العصرية: "إن أيعاطفة نحو الزوجة يجباً لا تظهر أمام الجميع حتى لا يظهر الزوج وكأنه تحت سيطرته، الشيء الذي يسيء إلى النظام الأبوي، فالمغربي يحاول دائما أن يعطي لأمه صورة الرجل القوي، فيظهر سلوكا خشنا نحو زوجته وسلوكا عاطفيا نحو أمه... إن طبيعة العلاقات داخل الأسرة الواسعة وقوة الثقافة الأبوية، يقرران أن تكون الزوجة مستسلمة أمام الحماية وإذا اختلف الوضع عن ذلك يكون الطلاق غير مستبعد².

الواحد تشكل في النهاية دائرة كبيرة وهي دائرة انتماء الفرد لوطنه بماله من حقوق وما عليه من واجبات في نطاق القبول الاجتماعي لهذا الفرد.

13- بنية العائلة العربية:

تتم دراسة الأسرة من خلال مراحل التطور التي مرت بها هذه المجتمعات وطبيعة العلاقات السائدة عبر التغيير، فإن كل تعديل يصيب المجتمع ينعكس حتما على وضع الأسرة.

كانت إحدى خصائص الأسرة التقليدية الواسعة سببا في ظهور الأسرة النووية في مجتمعات المشرق (العراق، سوريا ومصر)، وتتمثل في التماسك الداخلي بحيث كان كل فرد يشعر بأنه ضروريا للأسرة، ومشاركة الكل في الإنتاج جعل اقتصادها يتمركز، وأدى إلى قدرتها وصلابتها المادية، فنتجت عن ذلك برجوازية ناشئة في ميدان بعض الصناعات، وفي المجال الريفي ظهرت طبقة أرستقراطية، هاتين الفئتين، أدخلتا عادتتين جديدتين بفضل أموالهما في المجال الحضري، السكنا المستقل والتعليم، فكانت تلك هي النماذج الأولى للأسرة

¹ Benkhilil (R), « Définition et reproduction socio-démographiques », In Réflexions sur les structures familiales, Institut National d'Etudes et d'analyse pour la Planification, Alger, 1982, p 29.

² Addi (I), Les mutations de la société algérienne, famille et lien social dans l'Algérie contemporaine, La Découverte, Paris, 1999, pp.65-66.

الزوجية، لكن سلطة الأب لم تسقط مع هذه النماذج، وإنما انحصرت وتقلصت حسب الزمان والمكان¹، فكانت تلك هي بؤادر التغيير التي أثرت على شكل الأسرة. كل المجتمعات الإسلامية تعرضت إلى تغييرات عميقة، فكان البعض منها إجباريا وكان البعض الآخر اختياريا (كما ذكرناه أعلاه) فتأثرت السلوكات الأسرية في حالة الإجماع نتيجة تأثير الإدارة الاستعمارية وتشريعها القانوني، وكذا تعايش الأسر الإسلامية مع أسر المستعمرين الأوروبيين في المناطق الحضرية كما هو الحال في دول المغرب العربي، ويمكننا إضافة تأثير المدارس الأوروبية المستعمرة على بعض الفئات الاجتماعية.

أما في حالة اختيار التغيير في دول مثل تركيا وإيران فكان ذلك عن طريق تقليد الغرباقتصاديا واجتماعيا بإدخال إصلاحات قانونية وإصلاح التعليم مع إنشاء مدارس على الطريقة الأوروبية، إلى جانب الاختيار الحر لفئة اجتماعية للعيش وفق الطريقة الغربية، كل تلك العوامل ساعدت في التغيير من المؤسسة الأسرية ابتداء من القرن 19².

تحقق لتلك التأثيرات والإصلاحات تغييران:

- 1- تجاوز النشاطات الاقتصادية التقليدية لتصل إلى المستوى الاجتماعي، فأزالت الطابع الأسري للعمل، وأصبحت ممارسته تتم دون وصاية الأهل ورقابتهم.
- 2- أصبح تقاضي الأجر يتم بصورة مستقلة عن الأسرة.

أبرز الوضع الجديد فئات من الأفراد ذوي الوظائف، مستقلين عن الأسرة وساهم بخلق الشروط الموضوعية لبروز اتجاه نحو الاستقلالية خاصة فيما يتعلق بقضايا اختيار مسكن منعزل واختيار القرين. معظم الدول الإسلامية اختارت التناوب الواسطي بين الإسلامي والعلماني، وحتى إذا لم يكن التفريق بين الدين والدولة، كثيرا ما نجد العلمانية مطبقة خاصة في ميدان التعليم والعدل³. الأسر الميسورة بسرعة، لكنها تتميز بصراع الأجيال حول القيم⁴. وبصفة عامة، أهم الصفات التي تتسم بها هذه المجتمعات هي صفة الانتقالية، خاصة المجتمعات العربية: "أهم ما يميز المجتمع العربي هو صفة الانتقالية⁵، وأهم تأثيرات التغيير الذي مس مؤسسة الأسرة، جعلها أيضا تعيش الانتقالية.

أهم تغيير حدث للأسرة، هو بدء ارتفاع الأسر النووية بالمعنى الحديث (الزوج، الزوجة والأطفال) واضحا في معظم المجتمعات الإسلامية وانتشرت الأسر النووية خاصة

¹ - عباس عبد الهادي، المرأة والأسرة في حضارات الشعوب وأنظمتها، الجزء 3، مطبعة الخلدوني، سوريا، 2003، ص 436.

² - Sous la Direction de Behnam Djamchid et Bouraoui Soukaina et coordinateurs, **Familles musulmanes et modernité, Le défi des traditions**, Publisud, Paris, 1986, p 35.

³ - Behnam Djamchid, Bouraoui Soukaina, Op.cit, p 56.

⁴ - Degreaf Olivier Théo, « La Convention des droits de l'enfant et le rôle de la famille », In **La crise des valeurs et le rôle de famille dans l'évolution de la société**, Publications du royaume du Maroc, Session de printemps 2001, Rabat, 2001.

⁵ - لويس كامل مليكة، الأسرة المصرية والمسكن، العلاقة بين الإنسان والمكان في سياق التغيير الاجتماعي، دراسات في علم النفس الاجتماعي في الوطن العربي، المجلد الرابع، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1975، ص 67.

في السبعينات، ونذكر على سبيل المثال العراق بحيث كانت الأسر الممتدة عام 1940، 72%، بينما النووية كانت 18%، وأصبحت الممتدة سنة 1975، 34%، بينما النووية قفزت إلى 66%، وارتفعت النسبة إلى 67% عام 2000¹.

وتوضح الإحصاءات السكانية في البحرين، أن نسبة الأسر النووية تبلغ 90% من مجموع الأسر (...).

وفي الكويت عام 1981 تمثل 59% من مجموع الأسر بالمسح. بينما لم تزد نسبة الأسر من النمط الممتد على 17% (...). أما في المجتمع اللبناني، أوضحت النسب أن عام 1970، الأسر النووية هي النمط المسيطر، ليس فقط في المدن وإنما في الريف أيضا².

وإذا لاحظنا ارتفاع نسبة الأسر النووية، فهذه الأخيرة تختلف كثيرا عن الأسرة الزوجية الغربية، واختلافهما يرجع أساسا إلى دور علاقات القرابة التي بقيت شديدة التأثير على هذه الأسرة³.

مع التغيير الاجتماعي، ومع ظهور هذا الشكل، لم تعد تنشئة الأطفال حكرا على الأسرة، بل ظهرت هياكل اجتماعية تقسم ذلك الدور معها.

حتى لدى البدو الرحل في مصر، لم يعد للأسرة الممتدة وجودا بارزا، أصبح الرجل فيأول زواجه يبقى مع أهله لمدة لا تزيد عن ثلاثة أشهر، وبعدها ينتقل ليكون أسرة نواة لتفادي المشاكل التي تحصل بين النساء⁴.

وترى " كنزة العلوي المراني" بأن المجتمعات العربية (...) تضمن بقايا الأسرة الممتدة، والأسرة النووية، والأسرة النووية الديمقراطية، وأشكالا أخرى يصعب تسميتها⁵.

حجم الأسرة:

مع استقلالية الأسر النووية، وتعليم المرأة وعملها، وارتفاع وعي الزوجين بمتطلبات العصر وتكاليف التربية، انخفض حجم الأسرة في المجتمعات الإسلامية، وقد انخفض معدل حجم النواة نفسها، مثلا في العراق انخفض من (7.2) سنة 1950 إلى (5.1) سنة 1975⁶. لكن ذلك لمينطبق على كل المجتمعات في تلك الفترة، إلا بفعل تأثير القوانين الأسرية المحددة لعدد الأطفال مثل تونس، لكن دون ذلك فحجم الأسرة ظلّ في السبعينات في ارتفاع مثل مصر

¹ - محمد الحسن إحسان، علم اجتماع العائلة، دار وائل للنشر، بغداد، 2005، ص 265.

² - الأمم المتحدة، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، شعبة التنمية الاجتماعية والسكان، أثر التحولات الاجتماعية والاقتصادية على الأسرة العربية، دراسة استطلاعية، 1992، ص 7.

³ - Behnam Djamchid, BouraouiSoukaina, Op.cit, p 42.

⁴ - غنيم محمد أحمد، العرب الرحل في مصر، دراسة أنثروبولوجية لبعض جماعات البدو، الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، 2001، ص 15.

⁵ - العلوي المراني كنزة، "الثابت والمتغير في بنية الأسرة العربية"، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد الخامس عشر، العدد الثاني، المملكة العربية السعودية، 1987، ص 367.

⁶ - محمد الحسن إحسان، العائلة، القرابة والزواج، دار وائل للنشر، بغداد، 2005، ص 135.

والجزائر، لكن في نهاية الثمانينات والتسعينات، ثمة ميل لاستعمال طرق تحديد النسل بدأ يسيطر بسبب الوعي بتحديدده لبعض الفئات الاجتماعية، أو بسبب ضغط الظروف الاقتصادية والاجتماعية المعقدة في الكثير من الدول الإسلامية وانخفاض مستوى المعيشة بها.

ويمكننا إيجاد في نفس المجتمع أو لدى نفس الفئة أفكارا مختلفة ما بين الأسر فيما يتعلق بالإنجاب، فمثلا لدى العرب الرحل في مصر، اتفق بعض الأزواج على تخفيض الإنجاب إلى ولدين أو بنتين أو ولد وبنت، لكن من جهة أخرى، هناك من يرى أن كثرة الإنجاب تساعدهم في إيجاد من يسرح بالغنم ولذلك قد يتزوجون بزوجتين¹. لكن بصفة عامة نشير إلى تقلص معدل حجم الأسرة العربية إلى (5.6) سنة 2000².

14- (الجنس) النوع الاجتماعي المفهوم والنشأة:

النوع الاجتماعي أو الجندر أو الجنوسة، هي مقابل للكلمة الإنجليزية gender الذي استخدم من طرف الحركة النسوية في بريطانيا خلال السبعينيات، أخذ هذا المفهوم أبعاد ثقافية مختلفة وأبعاد علمية، وأصبح يوظف السوسيولوجيا لدراسة المتغيرات حول مكانة كل من المرأة والرجل في المجتمع بغض النظر حول الفروقات البيولوجية بينهما، وفقا لدراسة الأدوار التي يقوم بها، وبالتالي يجبتناول دراسة المرأة والرجل كونهما أفراد في المجتمع بغض النظر عن جنس كل منهما، لأن ما يقوم به من أدوار في المجتمع مرت ثقافة المجتمع وليس جنسهما.

مفهوم الجندر أو النوع الاجتماعي هو أداة للتحليل السوسيولوجي ولكن في نفس الوقت هو مفهوم معقد يكتسبه الغموض بسبب الخلفية التاريخية والفكرية والإيديولوجية له.

¹ - غنيم محمد أحمد، العرب الرحل في مصر، المرجع السابق، ص 150-151.

² - محمد الحسن إحسان، علم اجتماع العائلة، المرجع السابق، ص 154.

1-1-النوع الاجتماعي والحركات النسوية:

بدأت الحركة النسوية في الغرب في القرن التاسع عشر، وصيغ مصطلح النسوية لأول مرة في عام 1895 ليعبر عن تيار ذو اتجاهات عدة، وقد كان ظهورها بفضل حركات المقاومة لتبعية النساء للرجال التي برزت في إنجلترا في القرن السابع عشر، ثم امتدت في كل من فرنسا والولايات المتحدة.

تعني النسوية كل جهد نظري أو عملي يهدف إلى مراجعة، أو نقد أو تعديل النظام السائد في البيئة الاجتماعية الذي جعل الرجل هو المركز، هو الإنسان، والمرأة جنسا ثانيا أو آخر في منزلة أدنى¹.

تمثلت الحركات النسوية في عدة تيارات اختلفت من حيث أهدافها ومناهجها.
أ-الحركة الأنثوية الليبرالية:

تسعى من أجل تحسين وضع المرأة من الناحية القانونية والصحة والتعليم والمشاركة السياسية، وتحسين مستوى معيشة النساء عامة، كانت هذه المطالب مشروعة وملتق عليها.

ب-الحركة الأنثوية الشيوعية:

مبدأها أن المرأة إنسان ومكافئة للرجل، لها كل ما له من حقوق، ولا بد أن تكون حرة في جميع اختياراتها وأن جنسها لا يمنعها من القيام بأي شيء يقوم به الرجل.

ج-الحركة الأنثوية الوجودية:

مرجعيتها فلسفة التجارب الشخصية والفردية، فلسفة الشك والرفض قبل القبول واليقين، من روادها "جون بول سارتر" و"سيمون دي بوفوار" صاحبة كتاب "الجنس الآخر" الذي تقول فيه عن دور التنشئة في خلق وضع المرأة، لا يولد المرء امرأة، بل يصير كذلك، وتقول كذلك أن سلوك المرأة لا تفرضها عليها هرموناتها، ولا تكوين دماغها، بل هو نتيجة لوضعها، وأخيرا تدعو المرأة للثورة على هذا الواقع، وتدعو إلى عالم يكون فيه الرجال والنساء متساوون.

د-الحركة الأنثوية الراديكالية:

طالبت بتغيير جذري في مجموعة العلاقات بين الجنسين داخل الأسرة، وفي المجتمع على حد سواء بزوال السلطة الأبوية واستئصالها وصولا إلى المساواة المطلقة، وسيادة النوع في المجتمع بال...الاختلاف والتمايز بين الجنسين².

سجلت الحركات النسوية أثرا كبيرا في بلورة مفهوم الجندر من خلال سعيها لتغيير أوضاع المرأة، رغم اختلاف مضامينها ومناهجها، بمناداتها للمساواة والتحرر المعتدل أو المطلق متأثرة بمبادئ فكرية وفلسفية سادت المجتمع الغربي المتغير.

1-2-الأساس الفكري والفلسفي للحركات النسوية:

¹-محمد حوسو (عصمت)، الجندر الابعاد الاجتماعية والثقافية دار الشروق للطبع والتوزيع عمان الأردن 9009 ، ص 46-47.

²-العمر معن (خليل)، علم اجتماع الجندر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2015، ص ص 20-21.

تمخضت أفكار ومبادئ كثيرة في عصر النهضة والتنوير وما بعد الحداثة، أثرت في كل مجالات ومستويات الحياة من خلال منظومة فكرية قامت أساسا على مبادئ أصبحت فيما بعد مرجعية للتيارات النسوية، من هذه المبادئ، نذكر العلمانية وتعني ترجيح الفكر البشري على ما ينقل من أفكار لاهوتية، ورفض الدين كمرجعية مطلقة في تسير شؤون المجتمع، بل وأكثر من ذلك وصل الأمر إلى حد .. الخالق، بسبب الدور السلبي الذي لعبته الكنيسة ورجال الدين المسيحي في فترة الركود الفكري في أوروبا تأثرا بذلك أقصت الحركات النسوية الدين عن الحياة بسبب نظريته السيئة والدونية لها.

العقلانية هي أيضا مبدأ يعبر عن نزعة لها دور مهم في صياغة العالم الغربي المعاصر في كل المجالات بما في ذلك الحركات النسوية، وخلصته أن الفكر الإنساني حل محل الدين بعد فصله ورفضه كمرجعية.

مبدأ آخر له تأثير الكبير فيما هو عليه المجتمع الغربي وهو مبدأ الفردانية التي تمجد الفرد كحقيقة منفردة وحيدة تعتبر نفسها مركز جميع الأشياء، وهي واحدة من المنطلقات الأساسية للأنثوية التي تؤكد على الفردية للمرأة وتجريدها من السياق الاجتماعي.

الجنسانية كذلك كمبدأ أثر على هذه الحركات من حيث مضمونه الذي يعني جعل المتعة الجنسية غاية عليا، وهنا نثير مبدأ آخر وهو المنفعة أو مذهب اللذة ويعني أن صواب أية فكرة وخطأها يكمن في مدى تحقيقها للمنفعة، هذا بالإضافة إلى مبادئ أخرى عديدة، كالصراع، الشك¹...

نظرا للظروف والأوضاع السيئة والمرتبة الدونية التي ميزت وضع المرأة وكذا تهميشها في الفكر الفلسفي والاجتماعي، وجدت هذه المبادئ الأرضية المناسبة لتوجيه الحركات النسوية لترفع المرأة من وضع الدونية وتخرجها من دائرة التهميش، وتعطي لها الاعتبار وتقر لها القدرة على تقرير مصيرها.

1-3- استخدام النوع الاجتماعي في علم الاجتماع:

ظهر مفهوم النوع الاجتماعي (الجنس) في علم الاجتماع خلال فترة السبعينيات مع أن أوكلي Ann oakley البريطانية لوصف خصائص الرجال والنساء المحددة اجتماعيا مقابل الخصائص البيولوجية، ورأت أن الشعوب والثقافات تختلف في تحديدها لسمات الذكورة والأنوثة، بالتالي فإن الفصل بين مفهومي الذكورة والأنوثة يختلف من ثقافة لأخرى²، وقت بينت مارغريت ميد meadmargaret قبلها أن المزاج وهو ما يعتبره علماء النفس مجموعة من الصفات كاللطف، والعنف، والإبداعية... لا يخص مباشرة الجنس البيولوجي،

¹- العمر معن (خليل)، علم اجتماع الجنس، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2015، ص ص 20-21.

²- محمد حوسو (عصمت)، المرجع سبق ذكره، ص 61.

وإنما يعتبر بناءات مختلفة حسب المجتمعات، فالجنس ليس هو دائما الوسيلة لتحديد اختلاف المزاج¹.

أكدت أوكلي أن النوع الاجتماعي معطى ثقافي يميز بين الأدوار الاجتماعية والخصائص النفسية وهويات الرجال والنساء، فالجنس كمعطى بيولوجي هو ثابت، أما النوع الاجتماعي فهو معطى محتمل يمكن تعديله بفعل سياسي²، وبالتالي هناك تمييز بين مفهوم الجنس كمجموعة من الخصائص البيولوجية التي تميز الذكور عن الإناث، ومفهوم الجذر الذي يعني الذكورة والأنوثة المبنيين اجتماعيا والمشكلين ثقافيا ونفسيا والمكتسبين عن طريق التنشئة الاجتماعية التي يتعلم الإنسان من خلالها كيف يصبح ذكرا أو أنثى في المجتمع ما وزمن ما³.

الفروق البيولوجية بين الجنسين موجودة ومقررة، والأفكار والنقاشات المطروحة في الوقت الراهن المتمحورة حول هذا المفهوم، تنفي تأثيرها في تحديد الأدوار والمكانات بين الجنسين، إلا أنه لا يمكن الفصل بين البيولوجي والحياة الاجتماعية، فهما مرتبطان، إذ لا يمكن النظر له على أساس أنه مجموعة من الصفات والسلوكيات التي يمتلكها الأفراد منذ الولادة بجنس معين، فالجذر يتضمن الاختلافات وعدم المساواة بين الجنسين⁴.

يمثل النوع الاجتماعي (الجذر) شكلا مهما من أشكال التراتب والتدرج الاجتماعي، كما يلعب دورا كبيرا في تشكيل الأدوار التي يقوم بها الأفراد داخل المؤسسات الاجتماعية⁵. يعتبر الجذر كعملية اجتماعية وثقافية يتم إنتاجها باستمرار، وهو نظام من الممارسات المتشابهة التي تتم بشكل مستقل عن الأفراد ويقر بوجود الاختلاف والتنوع بين الجنسين حسب ما هو سائدة في الثقافة⁶، لا يطالب بإلغاء هذا التنوع، لكنه يشترط أمرين: الأول: وجود مساواة في قيمة الأدوار التي يقوم بها الجنسان.

الثاني: المساواة في مكانة كل منها⁷، بمعنى ألا يكون هناك موقف معياري يقوم على القيادة والتبعية، أو على التثمين والتبخيص ومن جهة لأخرى، يجب أن ننظر إلى الوقائع من زاوية الإناث والذكور معا، وليس من زاوية جنس واحد فقط، ويجب أن ننظر إلى الاختلاف والتنوع بين الجنسين كقاعدة للتكميل والتكامل لا للمفاضلة بينهما⁸.

¹-berni (laure) et all, introduction aux genderstudies : manuel des études sur le genre, bruxelles, de boek, 2008, p 17.

²-holmes (mary), what is gender ? sociological approches, London, 2007, p 43.

³-berni (laure) et all ,optic, p 17.

⁴-محمد حوسو (عصمت)، المرجع سبق ذكره، ص 61.

⁵-غيدنز (أنطوني)، علم الاجتماع ترجمة وتقديم فايز الصياغ مركز دراسات الوحدة العربية بيروت لبنان 2005 ص 191

⁶-محمد حوسو (عصمت)، المرجع سبق ذكره، ص 63.

⁷-حاتم (مرفت)، (تحرير وتقديم)، نحو دراسة النوع في العلوم السياسية، (ترجمة، شهرت العالم)، سلسلة توجيهات نسوية، ط1، مؤسسة المرأة والذاكرة، القاهرة، 2010، ص 13.

⁸-محمد حوسو (عصمت)، المرجع سبق ذكره، ص 63.

تختلف إذن الأدوار والمكانات بين النساء والرجال من ثقافة لأخرى، ومن فترة زمنية لأخرى، لكن ما هو متفق عليه وسائدا أن رغم التطور والتغير الذي حصل على وضعية المرأة إلا أن مكانتها مازالت تتميز بالدونية مقارنة بالرجل وبقيت أدوار ثانوية بالنسبة للأدوار التي يقوم بها رغم أهميتهما إلى تحققها بالنسبة للمجتمع، ذلك ما برز من خلال العديد من البحوث والدراسات.

تبين دراسة "لكانز ولازرسفلد" أن للمرأة أدوار جوهرية في تشكيل القرارات اليومية المتعلقة بنماذج الاستهلاك والموضة والشؤون العامة، وحضور العروض السينمائية في المجتمع الأوروبي والأمريكي، كما أن التأثير الأنثوي كان في قمته فيما يتعلق بقرارات الاستهلاك¹.

كما أظهرت بحوث أخرى "أن حدوث المرض بين أعضاء الأسرة مرتبطة بالعواطف الداخلية فيها، وكنتيجة منطقية لذلك، فإن مركز المرأة المحوري والأساسي في هذه الرابطة يوضح كيف يمكن أن توتر المرأة ليس فقط في صحة أفرانها بل أيضا في مرضهم"². إن الأدوار التي تؤديها المرأة في المجتمع مهمة مهما كانت حجمها وطبيعتها لكن عدم انتسابها للمجال العام مثل ما هو الأمر بالنسبة للرجل يجعلها دائما ثانوية، فالتمايز في الأدوار بين الجنسين يبدو وأنه أمر بديهي يرتبط بثقافة المجتمع الذي يلحق لكل واحد منهما كيف يكون أنثى أو ذكر.

2- نمطية التنشئة الإجتماعية وفق النوع الإجتماعي:

تخص التنشئة الإجتماعية كل فرد حسب سنه أو نوعه بأدوار محددة يهيء لها منذ ولادته إلى غاية أن يصبح رجلا أو امرأة، حيث تتكون الهويات الإجتماعية من خلال عملية متواصلة من الإنتقال الثقافي الذي هو عبارة عن تراكم معرفي مرتبط بالمنظومة الثقافية للمجتمع.

تمر عملية التنشئة الإجتماعية لأدوار الجنس بنفس العمليات العامة التي تمر بها التنشئة بصفة عامة، حيث يتم التفاعل مع الآخرين والذي من خلاله يُلقن للأطفال قيم ومعايير من طرف مختلف مؤسسات التنشئة الرسمية والغير رسمية بشكل مباشر وغير مباشر.

آيتار تورنر "Turner" إلى أن المجتمع يسوده أنماط من التفاعل تؤكد على اختلاف الأدوار تبعا للنوع وكل من الوالدين والمدرسة وجماعة الرفاق تدعم هذا الأسلوب من التفاعل³، الأمر الذي يحقق تعلم الأطفال نوع السلوك الذي يكون ملائما لجنسهم، فتكون أدوار وتخصصات الجنسين مرتبطة بنسق إجتماعي كلي يتبع بدوره النظام الإجتماعي السائد

¹-الساعاتي (سامية)، عتم اجتماع المرأة رؤية معاصرة لقضايا المرأة في المجتمع سلسلة اعمال مكتبة الاسرة مصر 2003، ص 30.

²-الساعاتي (سامية)، المرجع سبق ذكره، ص 30، نقلا عن: oakley (ann), « thefamily, marriage and LTS relationship to illness »in :Dtuchett (ed) the sociology of medecine.

³ الخشاب (سامية)، النظرية الاجتماعية ودراسة الاسرة دار المعارف مصر ط 3 2008، ص:131.

في ظل الثقافة التي تحيط بهما¹ فيحدد المجتمع أنماط سلوك نوعية بحيث يختص كل من الذكر والأنثى بأدوار لا يمكن تجاوزها لأنها مرتبطة بتوقعات الآخرين، فإذا حدث العكس فإن ذلك يؤدي إلى خلل فحسب الوظيفيون² تجنباً لحدوث الصراع يجب أن يختص كل من الذكر والأنثى بأدوار محددة لكل منهما، تضمن الإستقرار والتوازن على مستوى الفرد وكذلك المجتمع ككل، فحسب بارسونز فإن تخصيص أدوار للذكور وأخرى للإناث وتلقينها لهم عبر التنشئة الإجتماعية، يحقق فوائد للأسرة وكذا للنسق العام.

عبر عملية التنشئة يكتسب الأطفال هويتهم الإجتماعية المرتبطة بالصفات التي يجب أن يتحلى بها الذكور والإناث وكذلك الأدوار المنوطة بهما، الأمر الذي يؤكد الثقافة السائدة وتنقلها من جيل إلى جيل، ويتم تأكيد هذه الهويات والأدوار النوعية من خلال عملية الضبط الإجتماعي الذي بدوره يتحدد من خلال المعايير السائدة في الثقافة المحيطة بعملية التنشئة الإجتماعية³.

إن التمييز بين الذكر والأنثى يبدأ باكراً منذ الولادة، فتفضيل الأولاد، خاصية مشتركة بين جميع الثقافات، ويضل هذا الأمر حقيقياً في أغلب الأحيان⁴، إذ يبدأ التمييز بالتفضيل ثم بكيفية الإستقبال فعلى سبيل المثال، ألوانا محددة وديكورات مختلفة تبعاً للجنس المتوقع أو المرغوب فيه للطفل المنتظر (اللون الوردي للبنات والأزرق للولد)، وبعد الولادة مباشرة يبدأ الأهل بالتعامل بشكل مختلف مع كل من البنت والولد، بحيث يؤدي ذلك إلى جعل استجابات كل منهما في المواقف نفسها مغايرة تبعاً لجنسهما⁵، فيُدرب الولد مثلاً ليكون شجاعاً وقوياً، لا يبكي وتوجّه البنت لتكون ضعيفة متقبلة، مطيعة وسليبة.

تبرز إلينا بلوتي (Belotti (Elena في هذا الصدد في كتابها " Du coté des petits filles" الكثير من الأمثلة التي تبين عمليات التعلم الشرطي الإجتماعية على تشكيل صفات وسلوكيات الإناث، فقد لاحظت أنّ الأم تسحب ثديها من فم الطفلة إذا كانت ترضع بشراهة ذلك ريثما تهدأ، لتخفف عن اندفاعها، وتدريبها على الرضاعة بطريقة أنثوية، وبتكرار هذه العملية تتوصل الطفلة للرضاعة بطريقة مقبولة، في حين لا تتدخل الأم أثناء رضاعة الولد بشراهة⁶، أشارت كذلك بلوتي Belotti إلى تساهل الأمهات مع الولد حين يمتص إصبعه أكثر من تساهلهن مع البنت لنفس التصرف والسبب في ذلك يرجع إلى أنه يجب الحفاظ على جمال لثة البنت وأسنانها، فهي تهيئ منذ هذا العمر لتكون جميلة⁷.

¹حوسو (عصمت)، المرجع سبق ذكره، ص: 114.

² الخشاب (سامية)، المرجع سبق ذكره، ص: 130.

³حوسو (عصمت)، المرجع سبق ذكره، ص: 118-119.

⁴كريميو (إليزابيث)، وضعية المرأة في العالم، ترجمة قصي (حنان) و الهلالي (محمد)، ط1، دار تيقال للنشر، المغرب، 2016، ص: 32.

⁵ سليم حمود (رفيقة)، المرأة مشكلات الحاضر و تحديات المستقبل، ط1، دار الأمير للطباعة، مصر، 1997، ص: 145.

⁶Belotti (Elena), Du coté des petits filles, Edition des Femmes, Paris, 1974, PP : 37-38.

⁷IBID, p 75-77.

هناك العديد من الأمثلة لا مجال لذكرها كلها ولكنها تتمحور كلها حول الخصائص¹ التي تهدف الأمهات إلى تحقيقها بالنسبة للذكور والمتمثلة في الشجاعة والعدوانية والقوة وعدم البكاء وعدم الخوف...، في حين تعرض الفتاة على أن تكون هادئة مطيعة خاضعة، أنيقة، رقيقة... وهكذا وبفضل عملية التطبيع المستمرة يتوصل كل من البنت والولد تدريجياً إلى التصرف وفق النموذج الذي يتوقعه الآخرون والذي يتناسب وجنس كل منهما.

إنّ التمييز بين الذكور والإناث حديثي الولادة من قبل الأمهات سواء في مرحلة الرضاعة أو ما بعد الرضاعة، يشير إلى الإحترام اللاشعوري لدى النساء تجاه السلطة الذكورية، فالأم ترى في مولودها الصغير الذكر، الرجل وتعترف له بإرادته الخاصة أثناء عملية الرضاعة والإستراحة والتوقف عن شرب الحليب، وفي نفس الوقت تقاوم إرادة البنت² بسبب ما غرس فيها من قيم توجه سلوكها إذا تحولت من خلالها إلى كائن يجب أن يكون إدراكه للعالم ملائماً لإدراك الآخرين له بحيث يصبح للذكر³ ثقافة غير ثقافة الأنثى، وتختلف تجاربهما الحياتية، حيث تلعب معتقدات الوالدين والأهل ومفهوم الثقافة للجنس من حيث ما هو مذكر ومؤنث دورها بالإيحاء والتوجيه بما هو مناسب وغير مناسب لكل من الجنسين.

إن نمط التنشئة النوعية يقوم على أساس التفاضل والتمايز بين الذكر والأنثى، بحيث يحدد صفات وخصائص لكل منهما تؤهلها لسلوكات محددة، يدور هذا ضمن نس ترابي يموقع الذكر في خانة القوة والقيادة ويموقع الأنثى في خانة الضعف والتبعية.

3- التنشئة الإجتماعية وتنميط أدوار النوع:

يتعلم كل من الذكر والأنثى خلال عملية التنشئة الإجتماعية استدخال الأدوار الإجتماعية السائدة في الثقافة المحيطة بهما، كما يتعلمان كيفية ممارسة هذه الأدوار، ثم استخراج الدور الإجتماعي من جهة أخرى على صورة سلوك ومواقف ومعارف ولغة من قبل الفرد، حيث يمكننا أن نتوقع من فرد معين وفي سن معين ومجتمع معين سلوكات ومواقف ومعارف ولغة معينة تعبر كلها عن شخصية المجتمع وتعكس خصوصيته⁴.

يتعرف الأطفال مع مرور الوقت على أدوارهم بطرق مختلفة فيتم إدراكهم للدور الأنثوي والمتمثل في تدبير شؤون المنزل، بينما يتجه دور الذكر نحو كسب الرزقتدعى إذا الفتاة منذ السنوات الأولى من عمرها للمساعدة في الأعمال المنزلية كإعداد مبكر لأدوارها المستقبلية لتلك الأعمال الروتينية التي تتكرر بالطريقة ذاتها، في حين يمنع الصبي من

¹ حوسو (عصمت)، المرجع سبق ذكره، ص 117.

² نفس المرجع، نفس الصفحة.

³ عبده (سمير)، المرأة العربية بين التخلف و التحرر، من منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1980، ص ص: 15-16.

⁴ حوسو (عصمت)، المرجع سبق ذكره، ص: 113.

ممارسة هذه الأعمال ويسمح له بالمقابل أن ينطلق خارج المنزل في عالم مليء بالخبرات المتنوعة التي تثير خياله وتنمي عنده الكثير من القدرات¹.

للعب أهمية في إكتساب الأدوار وبلورتها لدى الأطفال، إذ يتضمن معايير مختلفة توجه الإناث نحو اكتساب مهارات ومواقف وأنماط سلوك مميزة تشخص فيها صلات المرأة بالآخرين وبالأشياء، بينما يوجه الذكر نحو اكتساب مهارات وخصائص وإهتمامات رجالية مميزة² وبالتالي يهيء كل من الذكور والإناث لأداء الأدوار المنوطة بل منهما، فالمرأة تحاكي الأم في أدوارها لأنها النموذج المرجعي لها وتنشئ الفتاة للحياة الزوجية، بينما يحاكي الصبي أباه، ويعدّ للحياة العامة³، ومن أجل هذا الإعداد للأدوار تتدرب البنت على لعب دورها لكي تصبح امرأة مستقبلا بحيث تحاول الفتيات التشبه بالأم والأخت الكبرى كما أنهن يقمن بدور المربيات من خلال لعبهن بالدمى وكذا قيامهن بالأعمال المنزلية، وبالتالي اتباع الخط الذي رسمه لها المجتمع⁴.

تتدعم محاكاة الأطفال لأدوار الكبار بالألعاب التي تقدم لهم إذ نجد أن معظمها قد أعدّ ليخدم الأدوار التي رسمت مسبقا لكل من الجنسين، فالعروسة والألعاب المقلدة لأثاث المنزل للفتيات ووسائل النقل والأسلحة المتنوعة للفتيان، فعندما يعطي للطفلة عروسة يتم تدريبها كيف تحملها وتهدهدها... في حين لا يدرّب الصبي على ذلك⁵ رغم أنه يمكن له القيام بذلك وقد يرغب فيه لكن المحيط الإجتماعي يمنعه من ذلك، وقد لاحظت بلوتي Belotti أنه عندما تتاح فرصة إختيار الألعاب بحرية للأطفال في الحضانات، تلعب البنات بالسيارات والطائرات والمركبات، كما يمضي الصبيان الوقت وهم ينظفون الطاولات ويغسلون الملابس، ثم تختفي هذه الألعاب فيما بعد بتأثير من التنشئة الإجتماعية⁶ القائمة على التمييز بين الجنسين، إذ يتمتع الصبي بالوقت الطويل للعب وحتى التركيز في دروسه، في حين كثيرا ما تقاطع البنت أثناء لعبها أو حتى درسها من أجل المساعدة في الأعمال المنزلية⁷ لأن الأهم بالنسبة لهما هو المجال الداخلي وما يتعلق به من أشغال ومهام من رعاية الزوج وتربية للأبناء وتنظيف وغسيل وطبخ... فإذا كانت منشغلة بأمر يخصها، فذلك ليس مهما لأنّ الأولوية هي للآخرين، وهكذا تجعل التنشئة الإجتماعية من الفتاة كائنا طائعا وخاضعا في خدمة الآخرين.

¹ سليم حمود (رفيقة)، المرجع سبق ذكره، ص: 117.

² حوسو (عصمت)، المرجع سبق ذكره، ص: 117.

³ عرابي (عبد القادر)، المرأة العربية بين التقليد و التجديد، في المرأة العربية بين نقل الواقع و تطلعات التحرر، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004، ص: 46.

⁴ Michel (Andée), La sociologie de la famille, Recueil de texts présentes et documentres, Lahaye- Mouton, Paris, 1970, P :243.

⁵ سليم حمود (رفيقة)، المرجع سبق ذكره، ص: 147.

⁶ Belotti (Elena), op, cit, P :78.

⁷ سليم حمود (رفيقة)، المرجع سبق ذكره، ص 147.

يرى الكثير من الباحثين أنّ عملية التنشئة الإجتماعية وفق النوع ليست سلسلة أو يسيرة بطبيعتها، فالمؤسسات أو العوامل الفاعلة المؤثرة مثل العائلة والمدارس والأقران قد يتعارض بعضها مع البعض وعلاوة على ذلك فإن نظريات التنشئة الإجتماعية تتجاهل قدرة الأفراد على أن يرفضوا أو يعدّلوا من التوقعات الإجتماعية المتصلة بأدوار الجنس، كما يرى كونيل Connell أن مؤسسات التنشئة لا تترك آثارها بصورة آلية على الشخص الذي يوشك على البلوغ، وجلّ ما تفعله هو أن تدعوا الطفل إلى المشاركة في ممارسة إجتماعية بشروط محددة، وكثيرا ما ترتبط هذه الدعوة بمعنى الإرغام مع ممارسة ضغوط قوية عليه للقبول مع غياب أي خيار بديل، غير أنّ الأطفال يرفضون الإنسحاق فقد يلجأون لممارسات في إطار تحرري أكثر في مجال النوع، إذ يمزجون بين عناصر النوع من كلا الإتجاهين، فقد تتبنى البنات تصرفات محددة للذكور كلعب كرة القدم أو ممارسة الرياضة... كما قد يلجأ الذكور لتصرفات خاصة بالبنات كالمساعدة في أشغال البيت... من المهم أن نتذكر أن البشر ليسوا كائنات سلبية تتقبل البرمجة النوعية بشكل قطعي، بل قد يعدّلون من أدوارهم والتوقعات.

15- دور المرأة على الصعيد المحلي والشخصي: دور المرأة على الصعيد المحلي:

إتوضعية المرأة ضمن الثقافة الأبوية التقليدية، ليست نفسها حاليا، فإذا كانت كما أينا في الماضي مهمشة، فإنها حاليا نتيجة التعليم، والعمل، وتأثير وسائل الإعلام، أصبحت أكثر وعيا بوضعيتها التي تحاول بكل جهد تغييرها، لذلك فإن الخوض عالتا للحماة والاستلام لضغوطهم، لم يعد مقبولا منظر فالكثير من نازلات، مما يؤدى في غالب الأحيان إلى الصراعات داخل الأسرة، نتيجة دوام الثقافة التقليدية التي تريد خضوع الزوجة فور فضها الأخيرة، والمطالبة بالانفصال عن الأسرة الممتدة، فقد يكون ذلك سببا في الطلاق اعتبار هتمردا . ويقيم شكلا لسكن أكبر عقبة في تخطيا لأسباب المؤدية للطلاق لأن توافق هقد يكون حلالا لتفادي المواجهة وذلك ما يؤكده عدي

بعض الجماعات للأسرية التي تمتلك رؤوسا مادية ومزينة، استطاعت أن تكون نمجا لتعيش أفرادها ضمن هاتحتنا استمرار تأثير الثقافة الأبوية بأقل ضغط، في حين هنا كجماعات فقيرة تعيشها وتخضع لضغوطها ضمن نبؤس عاطفي وصرعات يومية تنترجم بأضطرهاد الزوجات بالطلاق¹ . فالفتات الميسورة التي بإمكانها توفير المسكن للأبناء المتزوجين، حتى وإن بقوا تحت تأثير الثقافة الأبوية بتضامنهما المستمر مع الأسرة الواسعة.

تغيير وضعية المرأة بعد الاستقلال

¹ibid,p.90

نظر إلى المقدمتها المرأة الجزائرية في الحر بالتحريرية منتضحياتكبير كان من الطبيعي أن تتحصل على
 قوقها كاملة مباشرة بعد الاستقلال، ولهذا و دفي ميثاق طر ابللسنة
 1962 نصايحتعلمشاركتها في الكفاح من أجل تشييد البلاد،
 "لقد خلقت مشاركة المرأة في كفاح التحرير والظروف والملائمة لكسر الكابوس القديم الذي كان يحيط بها و يقيدها،
 ولإشراكها في إشراكها في الحياة العامة وتنمية البلاد¹ " و
 فالميثاق كان يحث على ضرورة إدماج المرأة في الحياة العامة ومحاربة كل ما يمكن أن يعرقل تحررها
 بالإضافة إلى ذلك نادى العمال الحزب بالنساء، "ينبغي للحرز بأن يفضي على كل العوائق التي تعترض تطور المرأة
 وأن يدعم عملاً لمنظمات النسوية"²

، وهذا لأن المجتمع لا يزال يحمل ذهنية سلبية تجاه المرأة،
 واعتبارها متخلفة، ناقصة وعاجزة، كما عمل الحزب على محاربة الأفكار الاجتماعية المسبقة ضدها "
 لن يتسنى للحزب أن يخطو خطوة واحدة إلى الأمام ما لم يساندو ما محاربة الأحكام الاجتماعية المسبقة
 والمعتقدات الرجعية،
 ولا يمكنها أن تقيمو أفعالها المبدئية فقط، بل عليها أن تجعل من تطور المرأة أوقعا لرجعة فيه،
 وذلك بواسطة تحمينا للنساء ومسؤوليات حزبية³ ."

لكن بعد الاستقلال كان الواقع مختلفا عن هذا الخطاب حيث استحوذ الرجع على كل شيء
 وبالتالي هضم حقوقها، وكان الاستقلال غير منصف لها رغم معاناتها ويلات الحرب، "
 كانت المرأة النساء كبيره عندما دفعت مناضلات معركة التحرير الكبر بغداة إعلان نتائج التحرير بالسلم
 لثاني من الحياة العامة واقصين مناغلبا الانتصار اتا الجديدة للحرية⁴ "
 فبالإضافة إلى الباعد هامنا الحياة السياسية سجلت تراجع لمستوى العديد من السلوكيات التي كانت مسموحاً بها خلا
 لالثورة كقبول العائلة.

لجزائرية مبيت المرأة خارج البيت لم يكن سوى بتعبير عن وضع خاص في المجتمع الجزائري في تلك الفترة
 ، أي أن الأمر كان نظريا " إن العائلة الجزائرية لم تتبن مثل هذه القيم
 والسلوكيات إلا للضرورة التي فرضتها الثورة والواجب الوطني"⁵ .
 وتؤكد زينبالا عوج بعد ما نصاف الثورة للمرأة الجزائرية
 "ذلك أن الثورة بالرغم من كالأبعادها، لم تساهم كثير في تغيير واقعها المرأة التي بانتهاء الثورة جعلت البوط
 يفتها الأساسية التي يفرضها عليها المجتمع، الزوجة المطيعة، الطفلة المستسلمة، آلة الإنجاب
 فعملية تحريرها في تلك الفترة كانت حلية⁶ ." إضافة إلى أن المرأة لم يعد ينظر إليها بنفس المنظار إلا في بعض الأحيان.

¹ العسلي (بسام)، المجاهدة الجزائرية و الإرهاب الاستعماري، بيروت : المؤسسة الوطنية للكتاب 1985

² المرجع نفسه ص 223

³ المرجع نفسه ص 224

⁴ غارودي (روجيه) في سبيل ارتقاء المرأة، ترجمة جلال مطرجي، بيروت : دار الاداب، 1982، ص 55

⁵ boutefnouchet (mostefa); la famille algerienne en 1984.

⁶ الاوج (زينب) المرأة، الكتابة، الديموقراطية، في دفاتر نسائية، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب 1991، ص 30-31

حالات النادرة، بل أصبحت الآن،
ولمتعد المرأه في شموليتها، فالذهنيا لم تتغير علم مستو بالواقعا اجتماعي، ففكرة الذكورة
والأنوثة بقيت هيهي، وإفما برر هذا الوصاية عليها بعد الاستقلال¹
لقد كانت تأثير الثقافة التي يحملها المجتمع
وأشدم تأثير التغير الظرفي الذي أحدثته الثورة على وضعها، فبعد عادات المر كزها المتميز بالدونية، تحت
سيادة الر جلفي كلال مجالات، إلا أن ذلك لم يكن بشكلا قطعا لأنها ساهمت بعدة متغير ات في تغيير وضع المرأة نستهلها
بعاملا لربية.

1 تعليم المرأة

يعتبر التعليم من أهم الر كائز التي يمكن ال اعتماد عليها في تطوير المجتمع
ولهذا سطر تالجز اثر سياسة التعليم لر فعن مستواها الاجتماعي، الاقتصادي،
وأقر تبذلكا إجباريتها وتعميمها على جميع الأفراد في سن ال مدرس ولم يستثن بذلك الذكور ولا الإناث
كما كان ال هدف من مجانية التعليم هو إعطاء الفرصة للعائلات لار سالا بنائهم وخاصة البنات، لأنها لا يمكن تصد
ورمجتمع تطور ونساؤها جهالات وما كاتنا البيت.

كان في فترة الاحتلال التعليم الثانوي " الفرنسي - المسلم "
فيالجزائر خاصا بالبنات، هدفه هو السماح للمسلمات من اكتساب
والارتقاء في نفس ال وقتا بالمستوى التعليمي لأزواجهن في المستقبل، كما كان ال هدف ال تكوين مدرسات لتعليم اللغة ال
عربية في ال ابتدائية وإعطاء الدروس ال إضافية للبنات².
وقد كان ال تعليم في هذالفترة يتم وفق ال مدرسة القرآنية
ومدرسة العلماء المسلمين من جهة، بحيث كان ال أول ولتدرس ال اللغة العربية
والقرآنا إضافة لبعض المواد كالحساب والأشغال اليدوية والأناشيد،
وكانت ال فتاة مثلا لفتنتا لقرن ال مبرمج، أما بالنسبة ال الثانية فكانت تركز على تطوير اللغة العربية
والدينا الإسلامي... وكان ال تعليم ال خاصا بالذكور والإناث ال حد سواء³.
أما فيما يخص ال مدارس ال عصرية فمنظر ال فر نسيين فكانت ال أراضا لستعمارية، بحيث تم تأسيس أربعة
مدارس لستعمارية لصالها لفتيات من ذ 1950 والتي كان ال هدفها تعليم ال اللغة العربية والفرنسية
والأشغال اليدوية (كالخياطة، الطرز الطبخ
4). (لكن تجدر بنا الإشارة ال أن ال تعليم ال فرنسي ظل مدة طويلة تمر تبطافيا ذهان ال الناس بمحاولة التنصير،
وهكذا فقد يكون ال نمو ال عو ال بالاعتقاد بأن ال قرار مبدأ علمانية التعليم ال عموميفرنسا
أي فصلا لديننا التعليم، هو الذي جعلهم يغيرون موقفهم ال أول

¹ المرجع نفسه، ص 31.

² cadimostefai (meriem) l'image de la femme algérienne pendant la guerre (1945-1962)

³ 2ibid p46

⁴ Bennoune (mahfoud) les algériens .victimes de la société neopatriarcale étude socio-anthropologique , Alger marinoor 1999

¹ أما الهدف من هذا التعليم هو إعطاء الفتاة ثقافة مزدوجة جزائرية وفرنسية وتعليمها اللغة العربية وتحضيرها لكي تصبح زوجة قينة مستور وزوجها والمرأة بدأ أو لمرأة الأمر منظر فالرجال بطرحهم سوء الايتعلق بأحسن طريقة تفيد بها أبناءها بالطب والنظافة وتزِيل لهم معنز وجهها التي يواجها معزوجة جاهلة فالغاية كانت البحث عن أحسن وسيلة تكون نبها أحسن مربية من خلال تصور عقلا نبحو للعالم. كانت هذا هاهتماماتال عصر انيينا الذين نشعروا بضرورة هذا الدور تجاه المجتمع والمرأة والمتمثل في التكوين وتغيير المرأة من خلال تهينتها وتحضيرها الدور آخر أكثر فعالية، بتغيير بنيتها الذهنية خاصة بالتعليم.²

إن فكرة المناداة بتعليم المرأة الجزائرية الغاية منها تمكين تحريرها، وإنما كانت من أجل تحسين وضعها الذي لا يفصل عن الدور الذي تلعبه في المجتمع، وذلك سواء بالنسبة إلى العلماء المسلمين أو إلى المثقفين المفرنسين علما بالغمناختلافهم في الأسس والمطلقات والقواعد التي تركز ونعليها، ومنه فإن تاريخ تعليم المرأة خاصة فيمرحلة الاحتلالارتبط بالقيم التي توجسها كالأفراد، والقائمة على التفريق بين الجنسين، وبالتالي تم توفير للمرأة الحظ الأكبر في إقبالها على التعليم، حيث لم تكن تستفيد منها إلا فئة جدمحدودة لكن بعد الاستقلال تغير الوضع التعليمي للمرأة، وجهت السلطة الجزائرية اهتماما نحو تنمية جميع قطاعات الحياة وبالتالي كان من الضروري إعطاء الأولوية لقطاع التعليم خاصة بتعليم المرأة الذي يعتبر من الميادين التي سجلت فيها المرأة قطيعة أساسية³ معالوضع الذي كانت تعرفه في المجتمع التقليدي إذ كان لا تنتشر التعليم إلا في الأوساط غير شخصية، مما يجعلنا نقول أن التعليم يعد عاملا من عوامل التغيير الاجتماعي، فتعليم وتكوين الفتيات لا يهدف إلى التحررهن فحسب، ولكنها أداة لتحرير الذهن من السلبيات إزاء النساء الجزائريات وبالتالي إدماجهن في الحياة العامة خارج البيت الذي يمكن تنفيذهم مدة قرون⁴.

نجد إذن نشر التعليم وتعميمه في الجزائر كان إجراء مستعجلا من أجل الخروج من الأوضاع الريدئة وتطوير أوضاع المجتمع، ومنها أصبحت تعليم الفتيات ضروريا ومفروضا بحيث تم تسجيل تطوره بشكل ملحوظ عبر المستويات المختلفة الأمر الذي أدى إلى الوضعية الاجتماعية، ثقافية واقتصادية جديدة لم تكن تعرفها مثيلا من قبل.

تحول تعليم الفتيات إلى ممارسة عصرية الأكثر مطالبة وطموحا من طرف الفتيات أنفسهن، اللواتي يطمحن وبكل إرادة للتخلص من وضعية الخضوع التقليدية المطبقة على

¹ الاشراف (مصطفى) الجزائر الامة و المجتمع تر حنفي بن عيسى دار القصة الجزائر 2007 ص415

² Godant (mauniqué) nationalité et citoyenneté, les femme algérienne et leurs droit in peuples mediterraneenes n 44-45, jul -dec, 1988.

³ Mernissi (fatima), le maroc raconté par ses femmes, rabat s.m.er.1986, p15.

⁴ Benoune (mahfoud), op.cit p83.

معظمهن، والارتقاء بوضعيتهن بالنجاح الدراسي ، لذلك تفوقن فيه مقارنة مع الذكور حسب النتائج المعروضة، كما تؤكد هذه الأخيرة، على أن هناك فعلا وضعية خضوع تعيشها الفتيات يردن بكل عزيمة تغييرها، ولأن الكثير من الأمهات يعشن تلك الوضعية فإنهن يشجعن بناتهن على النجاح الدراسي ومواصلته: " إذا لم تحقق المرأة طموحاتها، فإنها تعمل كل شيء حتى تتمكن بناتها من تحقيقها عن طريق المدرسة والعمل المدفوع الأجر، طبعاً الطموحات تختلف بين النساء حسب اختلاف مراكزهن الاجتماعية لكن تلك النسب الدالة على نجاح الفتيات وإن بدت مرتفعة هناك نسبة أخرى تعيدنا لتأثير الثقافة التقليدية، والمتمثلة في نسبة التسرب المدرسي: " هناك تناقض عند رؤية العدد الكبير من الفتيات اللواتي يترددن على المدرسة، والتسرب الذي تمثل النسبة العالية ضمنه الفتيات (...). هذا الأخير يعيدنا إلى الثقافة الأبوية، التي تقبل النشاط الدراسي الأنثوي (...). بهدف إخراج الفتاة من الأمية، وليس لتحضيرها إلى نشاط معين، فإذا تعلمت الفتاة خلال السنوات الأولى القراءة والكتابة، ذلك كافي لجعلها تساعد فيما بعد أبنائها في التعليم، حسب اعتقاد بعض الآباء الذين يمنعون بناتهن من المواصلة رغم تفوق بعضهن وفي نفس السياق ترى بن شبيبة أنه جاء التعليم بالنسبة للمرأة وسيلة للمواجهة الملموسة والسليمة للحياة الاجتماعية ، يفسح لها آفاقاً جديدة تساعد على تخطي المعيش اليومي داخل البيت، بربط علاقة مع واقعها والخروج من عزلتها الاجتماعية ، بممارسة وظائف عديدة "لكن خلف هذه الواجهة الرسمية ما يزال في جزائر التسعينات الجهل والأمية متفشيين ، وهما ليسا وفقاً على النساء فحسب، بل يشاركنها فيها الرجال أيضاً ولكن بنسبة أقل ". نستنتج مما سبق، بأن مواصلة الدراسة ونسبة النجاح الأنثوي، تفسر بالطموح للحصول على شهادة عليا تمكن من الحصول على منصب عمل راق يحقق فرصة الاستقلالية المالية للمرأة، التي تقلل عليها شدة الخضوع للذكور، وتمكنها من تحقيق الذات ويدل ذلك على انسياق المرأة لثقافة العصرية ، ومن جهة أخرى نسبة التسرب الدراسي الذي تمثل ضمنه الفتيات أعلى نسبة، يبين دائماً تأثير قهر الثقافة التقليدية على الأسر التي تمنع الفتيات من مواصلة التعليم. وكلتا الحالتين تؤكدان على وضعية القهر والخضوع التي تعيشها المرأة في مجتمعنا والتي تريد التحرر منها، تدلان أيضاً على ثنائية الثقافة

2- عمل المرأة:

عمل المرأة، يؤدي بنا للتفكير في تحسين وضعيتها ، وفرض نفسها في المجتمع، بل وتخطي ضغوط الثقافة التقليدية ، لكن نجاحها قد يكون نتيجة عوامل أخرى هي التي جعلت من المجتمع يقبل ذلك التغيير في وضعيتها، وليس فقط النجاح الدراسي أو التكوين ومحاولة الخروج من وضعية تقليدية ، فتدهور الظروف الاقتصادية لفئات اجتماعية مختلفة كان سبباً مشجعاً لعمل المرأة ، لأن انخفاض مستوى المعيشة جعل من الأجر المتقاضى من عمل الزوج، أو الابن غير كاف لتلبية متطلبات الأسرة ، فأصبح عمل المرأة ، بما في ذلك الزوجة والبنات الأخوات مقبولاً، بل مفروضاً لدى البعض ، لأن أهميته الاقتصادية هي التي فرضت

نفسها ، و أكثر من فرض المرأة لنفسها، وأصبح الرجل هو الذي بحاجة إليه لذلك وافق المجتمع. هذا ما يؤكد توزيع العاملات حسب الحالة الاجتماعية (إحصائيات 2003¹ .
% 44,3 عازبات. % 44,2 متزوجات. % 6,7 مطلقات ، منفصلات . % 4,8 أرامل

فإذا كانت ضمن العاملات نسبة معتبرة من العازبات تعتبر كما وضحته لنا شولي'Chaulet تم تقبل عمل المرأة بالنسبة للبنات خلال سنوات قليلة قبل الزواج شرط أن لا يؤثر ذلك على خطط الزواج ، يقال إنها تعمل من أجل جهاز عرسها وهذا ينطبق تماما مع الوضعية الاقتصادية، لأن جهاز العروس كان الأب هو المكلف به ويعينه في ذلك أولاده،و إذا كانت كذلك المطلقات والأرامل والمنفصلات مجبرات على التكفل بالنفقات لأولادهن،و أنفسهن ،وقد يقبلن إن كن غير متعلّقات أي عمل كان، مثلما يريبتونفوشات إن الفتاة أو المرأة غير المتعلمة والمكلفة بأسرة في احتياج تام تقدم قوتها ل لعمل في أعمال يدوية: كعامله نظافة،أو عمل في مصنع لا يتطلب أي مؤهل² ، فإن نسبة المتزوجات المرتفعة تؤكد على الحاجة الاقتصادية الملحة التي دفعت بالأزواج لقبول عمل زوجاتهم.
وحتى في بداية خروج المرأة ل لعمل في السبعينات كان العامل الاقتصادي هو المحرك الأساسي لخروجهن وذلك ما أكدته نتائج دراسة بوتفونوشات³ الميدانية، حيث وصل بان المرأة تعمل للأسباب التالية:

1- من أجل الضرورة الحياتية لتساعد مباشرة الأب دون دخل، أو ذو الدخل الضعيف ، وهذا يعبر عن أكبر نسبة من النساء اللواتي تتقدمن ل لعمل، وتمثل نسبة 24% من الأسر المبحوثة.

2-تعمل بعد ذلك من أجل تحسين وضعية الميزانية الأسرية ووضعيتها الشخصية بنسبة 24,8%، تقدمي جزءا من أجرتهن إلى الميزانية

3-تعمل لاستقلاليتها الذاتية، 3,2% سواء بالنسبة ل لأب أو الزوج وتعتبر أقل نسبة كما بين أيضا بأن النساء العاملات ال لواتي يبقين على أجورهن لاستعمالهن الخاص لا يمثلن سوى القليل من مجموع النساء العاملات ، فمعظمهن يمثل صورة البروليتارية التي تقدم مؤهلات مقابل تعزيز المداخل الأسرية.

نلاحظ أن النتائج المتحصل عليها سنة 1976 تبقى تنطبق على عمل المرأة حاليا من حيث دوافع العمل، مع تغير نسبة العاملات، فإن الاستقلالية الذاتية للمرأة لا تمثل سوى نسبة ضعيفة، ويبقى أول دافع لقبول عمل المرأة هو الاحتياج المادي ، أو المشاركة في تحسين الميزانية الأسرية يجب علينا إذن، التمييز بين دافع المرأة ل لعمل وقبول المجتمع لعملها ،

¹Institut national du travail l'emploi féminin en Algérie Alger 2005

²Boutefnouchet (mostefa) la famille algérienne op cit p 246

³imedharslimane tradition contre developpementalgerenal 1992

فإذا كانت هي تعمل فعلا من أجل تحقيق ذاتها فإن المجتمع لا يقبل عملها من أجل ذلك ، سوى إذا عزز بدافع اقتصادي، يعطى له المصدقية الاجتماعية لخروجها في غالب الأحيان إن قضية عمل المرأة إن كانت تجبر بعض الرجال لتقبلها نتيجة ظروف ، فهي تعتبر أيضا عامل صراع بين الزوجين¹، الذين يقبلونها في بادئ الأمر ثم يتراجعون لأسباب، وتبقى قيم الثقافة التقليدية هي المسؤولية عن ذلك: " عندما تتحسن أوضاع الأفراد ينقسمون بين المحافظة على النمط المعيشة القديم ضمن الأسرة، والمبادرة في ما يحدث خارجها، مما يحدث ثنائية بالتواجد التقليدي والعصري معا، وتكون كنتيجة لذلك الشعور المستمر بالضيق وصراعات عنيفة لدى الأسر.

و المرأة العاملة تحضى بمكانة اقتصادية مهمة ، فهي تعمل وتسير الميزانية الأسرية ، قد ينطبق قول بوتفوشت على بعض النساء، لكن نلاحظ خضوع الكثير من النساء العاملات لسلطة أزواجهن من بينهن المتعلمات، وفي بعض الحالات تشتد سلطة الأزواج ليستولوا على مداخلهم و ارغامهم على تمويل البيت، ويحرمن من حق الإنفاق عليهن الذي يفرضه الزواج المقام في الشريعة الإسلامية.

ان الكثير من النتائج حول وضعية المرأة التي توصل إليها بوتفوشت لازالت سارية المفعول حاليا على المجتمع نذكر منها:

1. ان المرأة التي دخلت النمط العصري تتمتع بالفتح على الأوساط الخارجية تمتلك عقلانية متقدمة في التحكم في أسرتها ، لكنها تحافظ على قيم تقليدية.
2، تسليتها ليست لها طابع خارجي في الأماكن العامة ، وإذا كان الأمر كذلك فإن ذلك بقي هامشيا ، ينطبق ذلك على بعض الفئات، لكن في المناطق الحضرية نلاحظ تقدما في ذلك.

3. الاستمرار في الدور الأنثوي في تسيير الأعمال المنزلية.

4. تبقى الوضعية المثالية للمرأة، هي العجوز الحماة والأرملة، هذه الوضعيات الأنثوية تبقى محافظة على قيمتها ضمن الأسرة العصرية وتخضع بالاحترام المطلق. الحفاظ على قيمة الشرف ، فالفتيات الحوامل لن يقبلن اجتماعيا ، ما يؤكد على دوام الحفاظ على الشرف وفي هذا الصدد يمكن إضافة ما يراه عدي " ان سمعة الرجل تتوقف على تصرفات النساء اللواتي يكفلونهن ، لدرجة أن القتل يبرر ويصبح مشروعا في حالة، ف جرائم الشرف التي تحدث في مناطق حضرية أو ريفية ما هي إلا تعبيراً عن دوام الثقافة التقليدية، فهذه القيمة لم تتغير عند دخول المجتمع في الثقافة العصرية لذلك تبقى وضعية المرأة أهم مؤشر يبرز ثنائية الثقافة ما بين التقاليد والعصرية.

3-إعادة تقسيم الأدوار بين الجنسين

¹ibid p 246

إن تغير وضعيه المرأة ومكانتها أدبالإعادة تقسيم الأدوار الاجتماعية فبعد تلاشي التقسيم الاجتماعي التقليدي للعمل بين الجنسين القائم على توجه الرجل خارج البيت والمرأة داخله بحيث أصبحت تمارس دورا جديدا من خلال خروجها للعمل خارج البيت ولم تعد ذلك الكائن الضعيف المطلوب إعالته وإنما أصبحت تساهم في إعالةأسرتها وتحمل مكانه مميزه ذلك ما ذكرته العديد من الدراسات التي اعتبرت انه كلما تحسنت الكفاءة المهنيةللزوجة كلما كبر أجرها كلما كبرت أهميتها في اتخاذ القرار وبالتالي تحسنت مكانتها بصوره واضحة¹ في النظام الاجتماعي لم يتمكن من تجاوز القيم التقليديةالخاصة بتحديد مكانه النوع التي تحدد وفق التدرج نعرف واش تقلصمهما ماما تقلص خالتي مهما تقلصت التميز تقلص التميز بين المرأة والرجل لكنه يبقى مهما, تبرز خصائصه في التمييز والتفاوت في الأدوار النوعية، فداء المرأة لمختلف الأدوار تستجيب من خلاله لحاجيات الأسرة وغير الأسرة بينما تبقى ادوار الرجل محدودة من خلالها بما يلائمه وما يحفظ سلطه وتفوقه ويمكن توضيح ذلك من خلال بعض الأدوار الجديدة التي أصبحت تمارس إلى جانب تعديل جزء من أدوارها التقليدية.

4- الإنفاق:

تشارك المرأة في الإنفاق من خلال الأجر الذي تتحصل عليه من عملها فهي غالبا ما تقوم بشراء حاجات خاصة بها وبأبنائها وبالبيت ومن ثم فهي تحسن من مستوى المعيشة لأفرادأسرتها وتنقص العبئ عن الزوج وتشارك كذلك في تسيير ميزانيه البيت عبر مناقشه تحدث بين الزوجين خاصة فيما يخص تسيير هذه الميزانية لكن هناك حاله يكون فيها اجر الزوجة وحده هو مصدر إعالةبالنسبة للأسرة وفي حاله كانت عازبةإما تشارك إلى جانب أسرتهاأو تعيلهم، وكذلك في حاله بطالة الزوج أو استقالته عن أداء مسؤوليته المنوطة به اجتماعيا، لكن الإنفاق يبقى الدور الأساسي بالنسبة للرجل تجاه أسرته وهاما باعتباره مصدر تأثير على رجولته ومسؤوليته وقوامته في الأسرة وسبب قبوله مشاركة زوجته له يعود للحاجة الماديةوبارادة الزوجة وحتى في الحالات التي تحدث فيها مشاكل أسرية بسبب تدخل الزوج في كيفية إنفاق زوجته لراتبها، فانه لا يعترف بذلك علانية تفاديا لضياع صورته اقبله لعمل المرأة مرتبط بانخراطه في العصرنة وهو لا ينتظر من ذلك سوى التي يجنيها من راتب الزوجة الذي يخفف عنه المشاكل ويعزز موارده.

5- المشاركة في القرار

نتج عن خروج المرأة للعمل وممارستها للوظيفة ما،تغير داخل الأسرة وفي المجتمع، اذ مكنها الحصول على الأجر من المشاركة في الإنفاقالأمر الذي حسن من مكانتها داخل الأسرة وبدأت سلطتها تقوى مما أدبالإلى تراجع سلطه الزوج نسبيا بمشاركتها في اتخاذ

¹michel (a) activites professionnelles de la femme et vie conjugal cnrs paris 1974 .1.169

القرارات الهامة¹، "فالزوجة العاملة اقرب إلى المساواة مع زوجها داخل الأسرة" حيث يترك الزوج القرارات الأخيرة لها أحيانا ويشاورها مباشرة في بعض الأمور أحيانا²، فالزوجة التي كانت في الماضي لا تدلي برأيها أمام زوجها إلا في المساء في الغرفة الزوجية فإنها أصبحت تناقش أكثر مع زوجها المشاكل التي تخصها حول مائدة الطعام أو أمام أبنائها وحتى أمام أهلها³ في المساهمة الفعلية للعمل النسوي المأجور غيرت التمثلات الذهنية التي تحصر المرأة في المجال المنزلي وكذا في تقوية موقعها الاجتماعي والاقتصادي في الأسرة ومن ثم قدرتها على المشاركة في القرار الذي لم يعد يعني فقط المرأة العاملة التي تساهم في الإنفاق ولكن حثت المرأة غير العاملة أصبح لديها هذا الحق بفعل ما تتحمله من أعباء ورعاية اتجاه أفراد أسرتها تفرض عليها التنقل والخروج وبذل مجهودات (كانت من اختصاص الرجل من قبل).

6- التنقل:

تتحمل النساء بنسب كبيره أعباء الرعاية سواء كانت إمراة عاملة أو مأكثة بالمنزل لأنها تقوم بالتكفل بالعائلة وأفرادها من حيث الرعاية الصحية سواء في المنزل أو خارجه وحسب التحقيق حول التحولات العائلية⁴ نلاحظ أن 60% من هؤلاء النساء مأكثات بالبيت يتكفلن بنسب متفاوتة بالأعمال المنزلية وتعليم الأطفال والصحة وقد ينتجن بعض المواد والمنتجات الموجهة للسوق مما يمثل للأسرة مصدرا لجني الأموال وبالتالي قد تشمل مهام الرعاية أيضا خلق الثروة التي قد تمتلكها النساء، وتعتبر الرعاية بالنسبة للمرأة أيضا رهنا اقتصاديا واجتماعيا في ذات الوقت كونها بوسعها أن تمنح النساء عده مبررات على تواجدهن في المجال الخارجي من اجل مرافقه الأطفال إلى المدرسة أو اخذ أفراد الأسرة إلى الطبيب او إلى السوق.. الخ

ترتب عن هذا الدور الجديد قيامها بدوار أخرى (كانت من قبل من اختصاص الرجل)، كأن تقوم بتسديد الفواتير الغاز والكهرباء واستخراج بعض الأوراق الإدارية والتكفل بالأبناء عند المرض بأخذهم عند الطبيب وإلى المشفى بالإضافة إلى التكفل بهم عند الدخول إلى المدرسة ومرافقتهم والاتصال بالمدرسين والإدارة في حال وجود مشاكل من اجل المتابعة والمراقبة، ومرافقة الأولياء ورعايتهم في حاله العزوبة تبدو من خلال هذه المهام وضوح استحداث الأدوار عبر أداء مختلف المهام المتعلقة بها سواء كانت أم زوجه أو بنتا تتطلب التنقل والخروج الذي تفرضه خصوصيتها .

¹نبيلة عيساوة، التغييرات الطارئة على أدوار المرأة الجزائرية ومظاهرها الجديدة في الأسرة والمجتمع أطروحة دكتوراه جامعة الجزائر 2

²التركي (ثريا)، تفاوت القيم بين الأجيال في المجتمع العربي السعودي.

³بوتفوشتم العائلة الجزائرية المرجع سبق ذكره ص 274.

⁴Oussedik Fatima (sous la direction de l'étude sur les mutations familiales en milieu urbain) rapport pnred.derst-crasc2012.pp 241a 245

إن وضعية المرأة المعاصرة جعلتها تحظى ببعض الخصائص ذات الطابع الاجتماعي والاقتصادي بانفتاح اكبر نحو العالم الخارجي بمزاولة التعليم والوصول إلى أعلى درجاته ودخولها لعالم الشغل يسمح لها باستقلاله اقتصاديه، خاصة أنها لم تعد تشكل عبئاً على أسرتها وتحمل الدور الثانوي، فقد أصبحت تحيا حياة عامة اقل انعزالا بكمال جسدي وإنجاب مخطط وحياه بين المنزل والسوق والعمل فهي سيده البيت ويبقى البيت المكان المفضل لها.

2- دور المرأة على الصعيد الشخصي:

رغم أن عاملي التعليم والعمل مؤثران على تغيير وضعيه المرأة دليل واضح على ترسخ قيم العصرنه لكن الثقافة التقليدية مازالت تمارس تأثيرها بشكل واضح مما أدى إلى ظهور تناقض في وضعها ذي مستويين ، الأول ناتج عن تلقي المرأة تكوينا وتعلّما ودخولها سوق العمل من جهة ، ومن جهة أخرى استمرارية الذهنية التقليدية إزاءها ووجوب انضباطها ضمن قواعد محددة . أما المستوى الثاني فناجم عن عدم التطابق بين ما حققته المرأة من قدرات وكفاءة في المجال التعليمي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي

-التعليم: جاء التعليم بالنسبة إلى المرأة وسيلة للمواجهة الملموسة والسليمة للحياة الاجتماعية ، يفتح لها آفاقا جديدة تساعد على تخطي المعيش اليومي داخل البيت بربط علاقة مع واقعها والخروج من عزلتها الاجتماعية بممارسة وظائف عديدة ، لكن خلف هذه الواجهة الرسمية ما يزال في المجتمع جزائري تفشي الجهل والأمية وهما ليسا واقعا على النساء فقط بل شارك فيهما الرجل أيضا ولكن بنسبة أقل¹ ويمكننا تفسير هذا الوضع الخاص بها بالتأثير المستمر للتقاليد وبعض الأحكام المسبقة التي ترى بأن مكانها الطبيعي والوحيد هو البيت ومصيرها الزواج الذي تحقق من خلاله مكانتها . فعدم نجاحها لا يشكل مشكلا لأن بيتها في الانتظار ، لتنتظر زوج المستقبل . أما إذا تحتم عليها العمل فإنها تتجه لتعمل مقابل أجر زهيد بسبب إنعدام أو ضعف مستواها التعليمي.

-العمل: يعد التعليم عاملا أساسيا في إقبال المرأة على العمل بفتح آفاق جديدة أمامها ويتيح لها فرصة الحصول على منصب شغل يستجيب لطموحاتها مقابل أجر محترم يحقق لها استقلاليتها الاقتصادية ، كذلك الظروف المعيشية التي يفرضها الوقت الحالي تتطلب منها الإسهام في سد حاجيات عائلتها وكذلك الحل بالنسبة إلى الفتيات ففكرة العمل لديهن تظهر تحت ضغط الظروف حيث يعتبر العمل المأجور كمرحلة انتقالية يتمثل معناها الاجتماعي في تهيئة اللوازم التي تحتاجها يوم الزفاف ، أي ما يعرف ب (الجهاز) . وإذن فخروج المرأة ل العمل كان بدافع الضرورة الاقتصادية قبل أن يكون تلبية لرغبة نفسية واستجابة لميول شخصية. فالمرأة الحقيقية يجب عليها أن تكون امرأة ورجلا في الوقت نفسه، هي صورة مخاصمة (contestataire) ومحافظة حسب ما تتصورها، منقلبة على الممنوعات المفروضة على النساء، أو العكس خاضعة لضرورة الخروج لربح قوتها أو تعمل لفترة مهما كان الحال من أجل (جهازها) متمسكة في هذا الوضع الصعب بالقيم والتقاليد، فحتى يبقى العمل النسوي مقبولا لأبد من اتباع سلوك يضمن التزام المرأة بنفس الإطار الاجتماعي المحدد لها فلا يخرج سلوكها عن نطاق القواعد الاجتماعية المتحكمة فيها. فالكثير من

¹actes de l'ateliers femmes et développement organisé par c.r.a
24 s.cOran 1995

الفتيات يعتقدن أن التعليم والخروج من المحيط العائلي ليس من حقهن ، إنها ثقة تمنح من طرف أب أو أخ متفتح ، لابنته أو لأخته ، ثقة مشروطة تفرض على الفتاة احترام القيم وأصول الشرف ، بمعنى آخر فإذا كانت النساء معلمات أو عاملات فإنهن يعتبرون تلك الحرية جميل من أحد رجال العائلة¹.

إن القطيعة التي أحدثها نشاط المرأة خارج البيت بالنسبة إلى تقسيم المجال بين الداخل والخارج لا تعطي لها حرية النقل حسب إرادتها وإنما بالعكس تدعم مراقبتها كلما كانت في الخارج. فهناك بعض الفتيات اللاتي يزاوئن دراستهن، أو بعض النساء اللاتي يعملن ما زال محكوم عليهن بانغلاق جزئي *demi claustration* على العموم ومن الصعب تحمله في هذه الحال، إذ يرافقن في بعض الأحيان بأحد خلال كل الطريق ،كما تراقب أوقاتهن، أما أيام العطل فلا يحق لهن الخروج.

لهذا يمكننا القول أن دور المرأة العاملة هو دور جديد يخضع إلى ضغوط اجتماعية شديدة من طرف العائلة والحي²، ومنه فإن فكرة عمل المرأة لم تقبل بسهولة في بداية الأمر، إذ كان يعتبر ذلك تنازلا عن بعض القيم والمعايير السائدة أو (محتمة) كما يعبر عنها بالدارجة، فعندما تعمل النساء فإنهن يقدمن خدمات متعددة للعائلة، مما يؤدي بهذه الأخيرة إلى تليين مواقفها وتقبل منهن بعض التصرفات المضادة للنظر الأسرية ، ولكن هذا لا يمس بنظام الأمور، فرغم أن المرأة استطاعت أن تمارس عملا مأجورا، إلا أنها لم تحقق كليا حريتها الاقتصادية، وبالرغم من أنها أحدثت تغييرا في بنية العائلة التقليدية، إلا أنها ما تزال عاجزة عن إقناع الآخرين وهذه الصعوبات كلها لم تمنع المرأة من العمل لدوافع رئيسية منها غلاء المعيشة وما تقتضيه الحياة من ضروريات ، وبعدما أصبح الزوج عاجزا عن تغطية هذه الضروريات لعائلته ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى بدافع القهر والإجبار، إذ وجدت بعض الفئات النسوية أنفسهن مضطرات للعمل لتلبية متطلبات أبنائهن كالأرامل والمطلقات، وحتى العازبات اللاتي اضطررن للعمل لمساعدة الأب المتقاعد أو ذوي الدخل المحدود، إلا أن الدافع الرئيسي لعمل المرأة يتمثل في الجانب الروحي، فالعمل بالنسبة إلى المرأة ليس اندماجا ماديا فقط بل هو اندماج روحي في المجتمع، ويعني أيضا خروج المرأة من العالم الضيق المغلق والشعور بقيمة الجهد الذي تبذله والاندماج الاجتماعي حتى لا تبقى تعيش على الهامش.

- تلاقي المرأة العاملة مشاكل عدة على مستوى واقعها المعيش خاصة المتزوجة التي تقوم بضعف الأعمال التي يقوم بها الزوج الذي لا يتفهم أن الرجوع إلى البيتقرريبا في نفس الوقت يوجب عليه مساعدتها في الأعمال المنزلية والتي هي متعبة كذلك، وإن حدث ذلك فإنه يقوم به وكأنه يقدم لها خدمة³، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنها قد عوضت الرجل

¹بوعطة شريفة الرجاليها من قوة في دفاتر نسائية ص 143

²Abrous (dahbia),Lhonneur face au travail des femmes en Algerie LHarmattan 1989 p 42

³Khodja (souad) : a comme algérienne ENALAlger 1991, p125

في الكثير من المهام التي كانت خاصة به ، موازاة بما تقوم به من نشاط خارج البيت أخذت على عاتقها سلسلة من الأعمال كالإجراءات الإدارية ، دفع الفاتورات، مرافقة الأطفال إلى الطبيب ، كل هذا غير مرفوق بتطور خاص باستعمال الآلات الكهرومنزلية التي تسهل الأعمال المنزلية أو روض الأطفال... فهي مطالبة بتحضير الوجبات لوقت طويل في غياب مساعدة الزوج والأبناء، كل هذا في مقابل المهنة ، فالمرأة العاملة هتم بأعمال المنزل وأعمال خاصة بالزوج، مما يجعل عملها أثقل بكثير مما تتلقاه المرأة في المجتمعات المصنعة¹.

مشكل آخر تواجهه المرأة العاملة ويتعلق بمعالم هويتها الجديدة ، فمن الصعب أن تعطي لنفسها هوية جديدة للمرأة العاملة وهذا راجع إلى كون المرأة التي تمارس نشاطا مقابل أجر لا توجد لها صورة لإثبات هويتها غير صورة والدتها الأمية ، ذلك ما يشكل لها عائقا كبيرا لأنه يجب عليها أن تختلق سلوكات جديدة² تتماشى مع واقعها الجديد علما أنها لم تتسلخ تماما عن قيمها الأصلية ولم تبق محايدة للقيم العصرية ضمن ممارسات عصرية ، يجب أن تكون سلوكاتها معبرة عن انتمائها الثقافي التقليدي أو أن تحاكي صورة المرأة الغربية باعتبارها كانت سبابة إلى الدخول في سوق العمل ونظام الأجور ، وبصفة عامة إلى التحرر . ويلخص بوسبسي مشاكل المرأة العاملة في هذه النقاط:

_كونها تعيش محددة من طرف الآخرين

_مشاكل تعود إلى البعد بين مكان العمل ومكان الإقامة

_مشاكل تعود إلى ضرورة تنقلها للعمل وتحكمها في دورها كأم

_النشاط الذي يجب أن تقوم به وتبذله والذي يكون خاصا بنوع العمل الذي تمارسه

_القلق الذي تسببه الحياة العصرية والسريعة والتي تحضر لها المرأة في غالب الأحيان

كل هذه العناصر تفاقمت بغياب وعدم الكفاية للبنيات الاجتماعية الموجهة لمساعدة

المرأة العاملة³ . إن المنافسة بين هذين الدورين (الأموي مركز في الداخل والمهني مركز في الخارج) تعيشها المرأة كصراع ، وهو في الواقع أزمة هوية حقيقية لدى النساء فيما يخص الصورة التي يكونها على أنفسهن⁴.

إن لحصول المرأة على مكتسبات مثل التعليم والعمل بعدين ، حيث تكتسب علما ومعرفة ووعيا بنفسها وبما يحيط بها وقدرة على استيعاب الأمور ومواجهة الحياة بكل تعقيداتها، فكريا ،وعاطفيا ، واجتماعيا واقتصاديا. ولكن يبقى المجال الذي تعيش فيه غير

¹Ibid p 124

²Ibid 123

³Benmansour(rachida),processeur de changement de l'image féminine en Algériea travers le test des trois personnages, études et recherches sur la psychologie en Algérie.c.r.i.d.s.s.hOran ,1983

⁴Boucebci (m) psychiatrie, société et développement ,alger :S.N.E.D 1979 p 48 ,51

مهياً لتسهيل مهمتها ، وبالتالي فإن عدم التطابق بين ما اكتسبته وبين ما تصادفه في الواقع وما يفرض عليها من سلوكيات مصدرها الأحكام المسبقة القديمة يتسبب فيتعقيد وضعها وعدم الارتياح التي تعيشها بصعوبة بسبب الصراع الذي يميزها.

-الزواج : يبقى الزواج الهدف الأساسي والنهائي للمرأة ، فهو ضروري لما يمثله من معنى ضمن الثقافة التقليدية التي لها ثقلها على النمط المعيشي الحالي ، فمهما بلغت المرأة من مستوى تعليمي ومهني إلا أن قدرها يبقى مرتبطاً بالزواج ، ذلك لما يمنحه لها من مكانة اجتماعية (زوجة وأما) ، كما أنه لا يفترض أن يكون للمرأة حياة جنسية ، فالجنس بالنسبة إليها لا يتصور خارج إطار الزواج¹ ، لأن الدين الإسلامي الذي يمثل أحد ثوابت الهوية الثقافية يحرم بشكل قطعي العلاقات الجنسية خارج إطار الزواج، وأيضاً من الناحية الاجتماعية فإن مثل هذه الممارسات تمس بقيم مقدسة هي الشرف والعفة، ولهذا السبب يبقى الزواج يحمل الأهمية نفسها كما في السابق، إلا أن أشكاله قد تغيرت. فقد لاحظت طوالبيراضية في دراستها أن معظم النساء يرفضن الزواج التقليدي الذي كان يتم بين العائلتين دون الأخذ بعين الاعتبار رأي المعنيين بالأمر، فالزواج أصبح يتم بموافقة الطرفين ، أي الزوج والزوجة ، وفي أغلب الأحيان يكون على تعرف بعضهما على بعض مسبقاً . لكن حضور تأثير القيم التقليدية يتجلى في أن أغلبية النساء يفضلن اختيار أزواجهن بأنفسهن وكذلك اختيار الأولياء ، بمعنى أن الفتاة ما زالت تعتمد على عائلتها في اختيار زوجها لكن ليس بنفس القوة التي كان يتم من خلالها من قبل ، فهناك نوع من الاعتدال يكمن في أن اختيار الزوج يكون من طرف الفتاة والوالدين معاً² وليس فقط من طرف أحدهما.

نلاحظ إذن أن الزواج بالنسبة إلى المرأة ما زال ضرورياً خاصة وأنه يرتبط بالشرف والعفة، وهما مفهومان جد حساسين في الهندسة الاجتماعية حيث يرتبطان بطريقة شبه قدرية بين مكانة الرجل والسلوك الجنسي للنساء... وبذلك فإن الرجل الذي تتردد زوجته أو أخته على مكتب رجل آخر يتعرض بشدة لخطر " تلويث شرفه " و عليه أن يواجه انهيار مكانته إذا ما رأى أحد ما امرأة له مع رجل بعد ساعات العمل³.

تبقى المرأة إذن دائماً بحاجة إلى رجل يراقبها ويوجهها ، ولهذا السبب تعمل البنات على كبت الرغبات والطموحات حتى يتمكن الآباء والأخوة من رفع الرأس ، هكذا تكون البنية الاجتماعية مضمونة ومحمية⁴ لكن يحدث أحيانا أن بعض الفتيات ترغبن في مخالفة نظام هذه القوانين والمقاييس الاجتماعية ، ولكن لا يوجد بالنسبة إليهن وسيلة أخرى أو بديل: المجتمع متفق على أن المصير الوحيد النسوي يندرج في إطار الإلتباع الملتزم بالنظام

¹El khayat.bennai (ghita) LeMondearabe au femininLHarmattan 1985 p.p96,97

²Ibid p 113

³المرنيسي(فاطمة) الفرص الجنسية في المغرب المعاصر , مرتكزاتها الاقتصادية في دفاتر نسائية , مرجع سبق ذكره ص

112

⁴بوعطة (شريفة) الرجال يالها من قوة في دفاتر نسائية

البطيريركي، أخريات يتمردن بإرسال صرخات إما داخل العالم العائلي خاصة ضد أمهاتهن المشجعات لهذه الوضعية أو بالانتقال للفعل : علاقة مع الجنس الآخر ، الهروب من البيت العائلي وفي هذه الحالة تتوحد كل العائلة ضد هذه الفتاة المسؤولة على زعزعة الاستقرار العائلي فيلجأ الأهل إلى استئعمال العنف النفسي والجسدي لتذكير الفتاة التي خالفت تعاليم النظام الاجتماعي مكانتها والقوانين التي تحددها : الطاعة والحياء والصبر ونظرا إلى ذلك تحرم هذه الفتاة من مزاوله عملها أو دراستها وأكثر من ذلك فإن باقي الأخريات يدفعن أو دراستها وأكثر من ذلك فإن باقي الأخوات يدفعن ثمن المخالفة التي قامت بها¹. ولكن بالموازاة هناك فئة لا يفترض أن توجد في المجتمع وهي تمثل نساء يعيشن بمفردهن أي في مسكن خاص بهن بعيدات عن المحيط العائلي والمراقبة والتوجيه ، ذلك بفضل النمط الجديد الذي يعيش وفقه الأفراد ، فمع التحولات الاجتماعية، تعليم الفتيات، ضرورة الحياة غير منتظرة وغير المعتادة المتصلة بالسرعة اتجهت النساء أكثر فأكثر ليعيشن بمفردهن... بسبب انعدام العلاقة نهائيا بينهن وبين المحيط التقليدي المحافظ لأنهن يبتعدن بوضوح عن كل البنيات باختراق بعض الممنوعات (العفة، الحشمة...)²، لكن ميزة هذه الفئة هي أنها ذات مستوى تعليمي وتمارس نشاطا مهنيا. فهؤلاء النساء قد بذلت من الجهود أكثر من الأخريات³ حتى يحققن انفصال و استقلالية عن المحيط العائلي الذي لم يصبح تطابق مع واقعهن الجديد يحققن انفصالا وكذلك تصورهن للحياة ، فهناك بعض النساء ادعت لأنفسهن حق عدم الرضا برجل اي ينفين ضرورة الزواج الذي يكون عاملا لعودتهن للنظام التقليدي لكن بالمقابل نجد أن مثل هؤلاء النساء يدفعن ثمن وحدتهن لأنهن معرضات لخطر الجنسية إما برغبة منهن وبرغبة الرجل الذي تمثل فريسة له⁴ . وفي كلتا الحالتين فإن المجتمع يلقي اللوم عليها باعتبارها المسؤول على حفظ شرفها، وبالتالي فهن معرضات للانتقاد والرفض من طرف المجتمع ، الأمر الذي يجعلها في وضعية صعبة محرومة من مرافقة الزوج ومن الأبناء وسلطة الأمومة الحقيقية⁵ ، وبالتالي من أداء دورها الطبيعي . وقد تنتجلى صعوبة هذا الوضع في الانتحار والانهيارات العصبية والحزن⁶... بسبب عدم تأقلمها واندماجها. فالمجتمع يرفضها لأنها خرجت عن قيمه ومعايير

مما سبق ذكره نلاحظ التناقض الذي يطبع حياة المرأة التي تريد أن تحقق استقلالية عن محيطها العائلي والانفصال عن البنيات التقليدية بتجاوز ما قرره لها النظام التقليدي وذلك

¹ المرجع نفسه ص 142 , 143

²3 el-khayat .bennai (ghita) op.cit p 96

³ibid p98

⁴ibid p 98

⁵ibid p 99

⁶ibid p 99

بتبني نمط جديد قائم على أسس عصرية يمنعها من الاندماج بسبب تناقضه مع ما يزال سائدا
من بنيات تقليدية تزاوّل تأثيرها على المجتمع.

خاتمة:

توصلنا من خلال هذه المطبوعة إلى الإلمام بالمفاهيم الثلاثة (القرابة، العائلة والجنس) وذلك بالوقوف على إسهامات كلاسيكية ومعاصرة في فهم كيفية تنظيم العلاقات القرابية خاصة في ظل التحولات الراهنة وكذلك تحليل ليفية تحديد الأدوار الجنسانية ضمن مختلف السياقات الثقافية داخل العائلة في خضم التغيرات التي تمارس تأثيرها باستمرار خاصة ضمن التفاعل فيما بين هذه الأنساق.

قائمة المراجع:

الكتب:

1. أبو زيد أحمد، **البناء الاجتماعي**، مدخل لدراسة المجتمع، ج2، دار المعرفة الجمعية، الكويت، 2011.
2. إحسان محمد (لحسن)، **العائلة القرابية والزواج**، دراسة تحليلية في تغير نظم العائلة والقرابة والزواج في المجتمع العربي، دار الطليعة، بيروت، 1981.
3. إحسان محمد الحسن، **مدخل إلى علم الاجتماع**، دار الطليعة للنشر، بيروت، 1988.
4. إعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب متخصصين، **معجم العلوم الاجتماعية المرجع في مطلعات العلوم الاجتماعية**، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ب ت، ص 466.
5. الاوج (زينب) المرأة، الكتابة، الديموقراطية، في دفاتر نسائية، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب 1991.
6. -العمر معن (خليل)، علم اجتماع الجذر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2015.
7. بركات حليم، **المجتمع العربي في القرن العشرين**، بحث في تغير الأحوال والعلاقات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2000.
8. بلخضر مزوار، **الدين والرابطة الاجتماعية في الجزائر**.
9. بن أحمدودة محمد، **الأنثروبولوجيا البنيوية وحق الاختلاف**، دار محمد علي الحامي، ط1، صفاقس، تونس، 1978.
10. بوتفوشة مصطفى، **العائلة الجزائرية، التطور والخصائص الحديثة**، تر، دمري أحمد، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1984.
11. بوعدة شريفة الرجال يالها من قوة في دفاتر نسائية.
12. التركي (ثريا) تفاوت القيم بين الأجيال في المجتمع العربي السعودي.
13. جوردن مارشال، **موسوعة علم الاجتماع**، 2000.
14. -حاتم (مرفت)، (تحرير وتقديم)، نحو دراسة النوع في العلوم السياسية، (ترجمة، شهرت العالم)، سلسلة توجيهات نسوية، ط1، مؤسسة المرأة والذاكرة، القاهرة، 2010.
15. حسن عبد الحميد أحمد رشوان، **الأنثروبولوجيا في المجال التطبيقي**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1989.
16. الحسيني السيد، **المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري**، دار المعارف، ط3، القاهرة، 1985.
17. الخولي سالم إبراهيم الخولي، **الأسرة المصرية قراءة في ماضيها وحاضرها**، دار الكتب، مصر، 2013.

18. الخولي سناء، الأسرة والحياة العائلية، دار النهضة العربية، بيروت، 1977.
19. دان سبيربر، البنية في الأنثروبولوجية، دار التنوير للنشر والتوزيع، بيروت، 2006.
20. دينكن ميشل، معجم العلوم الاجتماعية، ترجمة إحسان محمد الحسن، بيروت، دار الطليعة، 1989.
21. رشوان حسن عبد الحميد أحمد، دور المتغيرات الاجتماعية في التنمية الحضرية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2004.
22. رشيد حامدوش، الإستراتيجية العلائقية، الرباط الاجتماعي، والإشكالية والتقاليد، الحداثة من خلال التصورات الشبانية في الجزائر.
23. زايد أحمد وآخرون، الأسرة والطفولة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ب.ت.
24. السخاوي مصطفى، النظم القرابية في المجتمع المحلي، دار المعرفة الجامعية، الأزريطة، مصر، 1996.
25. سليم حمود (رفيقة)، المرأة مشكلات الحاضر و تحديات المستقبل، ط1، دار الأمير للطباعة، مصر، 1997.
26. سميرة أحمد السيد، مصطلح علم الاجتماع، مكتبة الشقري، السعودية، 1997.
27. السيف محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن، التغير الاجتماعي والعلاقات القرابية، دراسة سوسيوأنثروبولوجية في المجتمع، عينة، العدد 69، دار المهرجان الوطني للتراث والثقافة، كلية الملك فهد الأمنية، الرياض، 1990.
28. شارلوت سيمور سميت، موسوعة علم الإنسان والمصطلحات الأنثروبولوجية، المركز القومي للترجمة: محمد الجوهري، ط2، 2009.
29. شريف فاتن، الأسرة والقرابة، دراسة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2006.
30. شكري (علياء)، الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، الإسكندرية دار المعرفة الجامعية 1994، ص. 229.
31. عبد الحميد رشوان، الأنثروبولوجيا في المجال التطبيقي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1989.
32. عبده (سمير)، المرأة العربية بين التخلف و التحرر، من منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980.
33. عدنان أحمد مسلم، محاضرات في الأنثروبولوجيا، مكتبة علم الإنسان، 2001.
34. عرابي (عبد القادر)، المرأة العربية بين التقليد و التجديد، في المرأة العربية بين نقل الواقع وتطلعات التحرر، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004.
35. العسلي(بسام)، المجاهدة الجزائرية والإرهاب الاستعماري، بيروت: المؤسسة الوطنية للكتاب 1985.

36. علياء شكري،الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،1996.
37. غارودي(روجيه) في سبيل ارتقاء المرأة، ترجمة جلال مطرجي، بيروت: دار الآداب،1982.
38. فريديريك معتوق، قاموس علم الاجتماع (إنجليزي، فرنسي، عربي)، مراجعة محمد دبس، أكاديمية بيروت، بيروت، 1998.
39. كابان فيليب وجان فرانسوا دورتيه، علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية، أعلام وتواريخ وتيارات، تر، إلياس حسن، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2018.
40. كريميو (إليزابيث)، وضعية المرأة في العالم، ترجمة قصي (حنان) و الهلالي (محمد)، ط1، دار تبال للنشر، المغرب، 2016.
41. محجوب محمد عبده، أنثروبولوجيا الزواج والأسرة والقراية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2011.
42. محجوب محمد عبده، طرق البحث الأنثروبولوجي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999.
43. محمد أحمد غنيم، فاتن محمد شرين،دراسات في المجتمع البدوي، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة،1998.
44. محمد الجوهري علياء شكري وآخرون،مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا، دار المعرفة الجامعية، القاهرة،2008.
45. محمد الخطيب، الأنثروبولوجيا - دراسة عن المجتمعات البدائية -، منشورات علاء الدين، 2000.
46. محمد حسن غامدي، مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991.
47. محمد عاطف وصفي، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت، ب.ت.
48. محمد عبده محجوب، طرق البحث الأنثروبولوجي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ب.ت،ص105.
49. مصطفى الخشاب،دراسات في علم الاجتماع العائلي، دار النهضة العربية، بيروت،1985.
50. مصطفى بوتفوشنت،العائلة والروابط الاجتماعية في الجزائر التطور والخصائص الحديثة.
51. معن خليل عمر، علم الاجتماع الأسرة، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1994.

52. نبيل السمالوطي، الدين والبناء العائلي، دار الشروق، لبنان، 1981.
53. نبيلة عيساوة التغيرات الطارئة على أدوار المرأة الجزائرية ومظاهرها الجديدة في الأسرة والمجتمع.
54. نورية سوامية، الرباط الاجتماعي الحضري (الجيرة كرابطة اجتماعية).
55. هنري مندراس، مبادئ علم الاجتماع، تر، ملاحم حسن، ديوان المطبوعات الجامعية، ب.ت.
56. الهواري عدي، التحولات الاجتماعية في المجتمع الجزائري الأسرة والرابطة الاجتماعية.
57. يوسف ميخائيل (اسعد)، رعاية المرأة قين، السعودية، دار غريب بدون عنوان.

المراجع باللغة الأجنبية:

1. Alan Beitone, **Sciences sociales**, Campus Plogred, France, 2000.
2. Belotti (Elena), Du coté des petits filles, Edition des Femmes, Paris, 1974.
3. Benmansour(rachida) processus de changement de l'image feminine en algeriea travers le test des trois personnages ,etudes et recherches sur la psychologie en algeriec.r.i.d.s.s.h ,oran ,1983.
4. Bennoune (mahfoud)les algerien .victimes de la société neopatriarcaleetude socio-anthropologique ,algermanisoor 1999
5. Berni (laure) et all, introduction aux genderstudies : manuel des etudes sur le genre, bruxelles, de boek, 2008..
6. Boucebcı (m) psychiatrie ,societe et developpement ,Alger :S.N.E.D 1979.
7. Cadi mostefai (meriem) l'image de la femme algerienne pendant la guerre (1945-1962).
8. Chaulet (claudine), i medharslimane tradition contre developpementalgerenal 1992.
9. Decloıtres (Robert) et debzi (laid) système de parenté et structures, familiales en algerie, c.n.r.s paris 1963.
10. Godant (maunıque) nationalité et citoyenneté ,les femme algerienne et leurs droit in peuples mediterraneenes n 44-45 ,jul - dec , 1988

11. Holmes (mary), what is gender ? sociological approaches, loldon, 2007.
12. Institut national du travail l'emploi féminin en Algérie alger 2005
13. Mernissi (fatima) le maroc raconté par ses femmes, rabat s.m..er.1986.
14. Michel (a) activites professionnelles de la femme et vie conjugal cnrs paris 1974.
15. Michel (Andée), La sociologie de la famille, Recueil de texts présentes et documentres,Lahaye- Mouton, Paris, 1970.
16. Oussedikfatima (sous la direction de l'étude sur les mutations familiales en milieu urbain) rapport pnred.derst-crasc20121 بن شيرة حورية المرأة والصحافة في actes de l'ateliers femmes et développementorganisé par C.R.A 24 s.coran 1995
17. Rivière (C), **Introduction à l'anthropologie**, Hachette, 2^{ème} Ed, Paris, 1999.
18. Segalen (M), **Structures élémentaires de la parenté**, PUF, Paris, 1981.